العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

# Al-Sada

Cultural Quavterly Journal For Hegira Events

Issued by the al _abbas holey shrine Department of Intellectual and Cultural Affairs Division of thought and creativity

شهر جمادى الآخرة

شهر جمادى الأولى

شهر ربيع الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا

صدق الله العلي العظيم
سورة الأحزاب: الآية/ ٣٣.

## الإشـــراف الـعـام

الـسـيـد لـيـث الـمـوسـوي

## السلامة الفكرية

السيد عقيل عبدالحسين الياسري

## رئيس التّحرير

صباح نعيم الصافي

## مدير التّحرير

محمد الأسدي

## هيأة التّحرير

رضوان عبد الهادي

حيدر فائق هادي

ياسين خضير عبيس

حسين فاضل الحلو

محمد يوسف محمد صالح

## المراجعة اللغوية

محمد رضا جاسم

## المشاركون

الشيخ عبدالرزاق فرج الله الأسدي

السيد أبو الحسن هاشم

السيد عصام الموسوي

## التصميم و الإخراج الفنّي

حسين عقيل | ميثم القرعاوي | حسين شمران



## التنفيذ الطباعي

دار الكفيل

للطباعة والنشر والتوزيع


## .. للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الإسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير


التواصل مع المجلة :

alsadda@alkafeel.net

info@alkfeel.net



رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية

٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

# في البدء

تختلف الآراء وخاصة في المجتمعات العربية حول دور المرأة في المشاركة في عجلة التَّقدّم. إذ يعيش البعض دوّامة من الصّراع الدّاخلي حول الاعتراف بدور المرأة في مختلف مجالات الحياة العامّة منها السّياسية والاجتماعية. ولعلَّ الأحداث المتتابعة التي تمر على المنطقة تُلزمُنا أن نقف وقفة تأمّل حول الدَّور الفعلي الذي يفترض أن تلعبه المرأة في مجتمعها بعيداً عن أشكال التّمييز؛ لنرى كيف يمكن لها القيام بتلك الأدوار من خلال اتخاذها بعض النَّماذج في التّاريخ الإسلامي قدوة وأسوة ومثلاً أعلى في الحراك بمختلف أنواعه.

ونحن نعيش في هذه الأيّام ذكرى استشهاد سيّدة نساء العالمين الزَّهراء عليها السلام، نستلهم من ذكراها العطرة كيف أنَّه كانت لها مواقف سياسية وأنَّها لم تقف موقف المتفرّج حيال تلك المتغيّرات التي حصلت بعد استشهاد الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله. فكان لها دور مفصلي في الأحداث المتتابعة والتي أبانت من خلاله العديد من الاستحقاقات سواء السّياسيّة أو الاقتصادية..

لم يكن دور السّيّدة الزَّهراء عليها السلام مقتصراً فقط على تأدية واجباتها الزَّوجيّة أو على التَّعبّد في محراب الصَّلاة، بل تعدَّى دور السَّيِّدة عليها السلام ذلك بكثير حيث أنَّها كانت إبان حياة الرَّسول الأكرم صلى الله عليه وآله تقوم بدور الدَّاعم المعنوي للرسول ومواساته في آلامه ومحنه في تحمّل الأذى من المشركين باعتبار وجود الدَّاعم المادِّي في ذلك الوقت من خلال وجود الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بجانب الرَّسول الأكرم صلى الله عليه وآله. وكانت على الدَّوام في مقدِّمة مودِّعي الرَّسول صلى الله عليه وآله حينما كان يتأهّب ويهم للجهاد ضدّ المشركين. وكذلك كانت تقوم على استقباله بعد الرّجوع من الحرب فهي أيضاً ضمّدت جروحه وخفّفت عن آلامه.

ولكن بعد رحيل الرَّسول صلى الله عليه وآله وانشقاق عصى المسلمين حول الخلافة، كان دور السّيّدة الزَّهراء عليها السلام بارزاً من خلال تبيان الحقيقة بدون مواربة وهذا جزء من الإعلام السّياسي الذي قامت به السّيّدة عليها السلام، ونجد ذلك جليّاً من خلال الخطبة الفدكية والتي بيّنت فيها دور الرّسول الأكرم في تغيير واقع الأمّة من الجهل والظّلام إلى نور وضياء فقالت عليها السلام: "فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق، والصِّيامَ تَثْبيتاً للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييداً لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقاً لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالجِهادَ عِزاً لِلإِسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ" بحار الأنوار/ ج٦ / ص١٠٧.

وأبرزت دور تلك الأمور العبادية والمعاملات في إبعاد الناس عن الشِّرك والضَّلال وإدخالهم في سردقة الإيمان تطهيراً للنفوس والأبدان من غيّ الشِّرك والنِّفاق؛ ثم أتبعت في تلك الخطبة حديثها حول حقِّ الإمامة المنتزع من الإمام علي عليه السلام في محاولة منها لتبيان بطلان اختيار الأمَّة الإسلاميّة لغير الإمام عليه السلام في تلك الفترة. ولم يكن حديثها في تلك الخطبة الشَّهيرة فقط عن المنحى السِّياسي الذي آل إليه الإسلام بل قامت بإبراز خطورة الموقف في ذلك الوقت عبر الحياد عن نهج القرآن الكريم واتباع الشيطان والهوى في الحكم بمقتضيات الأمور.

فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، (بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً) (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ السْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ).

أَيْهاً بَنِي قَيْلَةَ! أَأُهْضَمُ تُراثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ" بحار الأنوار/ ج٢٩/ ص ٢٨٩.

وهنا نرى من خلال هذه المقتطفات أنَّ السَّيّدة عليها السلام كان لها دور مفصلي حين اقتضت الحاجة لبروز المرأة بشكل أكبر في الحياة السِّياسيّة، وبيَّنت أنَّه يتوجّب على المرأة الجهاد متى اقتضت الظّروف الزَّمانيّة والمكانية للعب ذلك الدَّور ومشاركة المجتمع والنُّهوض به، ويكون بذلك التَّكوين تكامليّاً فلا يعتبر دور المرأة هامشيّاً بقدر ما هو ضرورة ملحّة لتدوير عجلة المجتمع وإصلاحه.

إنَّ المرأة المعاصرة لا بد أن تعلم أنَّ دورها لم يعد مقتصراً على تسيير الأمور المنزليّة فقط أو المشاركة الهامشيّة في الفعاليات الاجتماعية ليصل في هذه المرحلة للدعم في المواقف التي تحتاج للبذل والعطاء والدِّفاع والتَّضحية.

وهذا ما نجده واضحاً جليّاً في المرأة العراقيّة التي اتخذت نساء البيت الهاشمي قدوة وأسوة تستضيئ بنورهنّ، وكما أنَّ الزَّهراء عليها السلام، والسَّيّدة زينب عليها السلام والسَّيّدة أم البنين عليها السلام بذلنَ كلَّ غالٍ ونفيس، وقدَّمنَ رجالاً ليس على وجه الأرض لهم من نظير، كذلك نجد المرأة العراقية اليوم تقدّم الشَّهيد تلو الشَّهيد في صفوف الحشد الشعبي والقوات الأمنية وهي فخورة أنَّها تواسي سيدتنا الزَّهراء عليها السلام.

# المحتوى

## شهر ربيع الثاني


المدرسة الفاطمية ..... ١٠
الأخلاق الفاطمية ..... ٢٠
بر فاطمة عليها السلام خير العمل ..... ٢٨
فدك رمز الولاية والحق السَّليب ..... ٣٦
سيدة عش آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ..... ٤٦
ثورة المختار الانتصار و الهزيمة ..... ٥٦


## شهر جمادى الاولى


شخصية السيدة زينب عليها السلام ..... ٦٦
حروب الإمام علي عليه السلام ..... ٧٤
زيد بن صُوحان نموذج الوفاء والولاء ..... ٨٦
سامراء بين الشّكر والكفر ..... ٩٤


## شهر جمادى الآخرة


إيحاءات من النصوص في حقِ الزهراء عليها السلام ..... ١٠٢
أم البنين عليها السلام منهل الحكمة والتّضحية ..... ١١٠
السيدة آمنة عليها السلام والدة الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ..... ١١٨
من أدوار السيدة أم كلثوم عليها السلام ..... ١٣٤

الله
نور السموات والأرض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري
توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار
نور على نور
يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) .

صدق الله العلي العظيم
سورة الكوثر

# شهر ربيع الثاني

- المدرسة الفاطمية
- الأخلاق الفاطمية
- بر فاطمة عليها السلام خير العمل
- فدك رمز الولاية والحق السَّليب
- سيدة عش آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم
- ثورة المختار الانتصار و الهزيمة

# المدرسة الفاطمية

الشيخ عقيل البصري

إنَّ الله -تبارك وتعالى- خلق الإنسان وأودع في فطرته أسراراً، هي بصالح الإنسان وفي نفعه، وكان منها: حب الاقتداء بالعظماء، والعمل بسيرتهم، وهذه الفطرة يحس بها كلُّ إنسان في ضميره، ويعترف بها من أعماقه، وإن أنكرها في لفظه جدلاً، فإنَّه لا يستطيع إنكارها في عمله، إذ كل إنسان يقتدي وإن كان ذلك عفوياً وبلا توجّه، وإنَّ الله -تعالى- جبل الإنسان على هذه الفطرة ولم يتركه من دون أن يقيم له القدوة ويعرّفه عليها، وإنَّما أقام له القدوة وعرَّفه عليها، وذلك حتى يستطيع الإنسان أن يرفع نفسه في سماء الطَّهارة والمعنويات، ويحلّق في فضاء القدس والخير، إلى درجة لائقة بكرامته، وجديرة لإنسانيّته، ولكي لا يضل الإنسان في الاقتداء، فيقتدي بالظّالمين.

فالذين أقامهم الله - تعالى- قدوةً لنا، وأسوةً نتأسّى بهم في أعمالنا، هم الطّراز الأوّل من بين الخلق كلّه، والنُّخبة والصَّفوة من النَّاس أجمعين، إنَّهم المعصومون الأربعة عشر -صلوات الله عليهم أجمعين- الذين خلقهم الله -تعالى- أنواراً فجعلهم بعرشه محدقين، حتى منَّ علينا بهم، فجعلهم في بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، قال الله -تعالى-: (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ**)[1]، إنَّما أراد الله -تعالى- لهؤلاء الطّاهرين عليهم السلام أن يكونوا قدوة لنا؛ لأنَّ القدوة الذي يختاره الله -تعالى- لعباده لابد وأن يكون معصوماً من كل خطأ واشتباه، ومُطهّراً من كل نقص وعيب، وذلك؛ لأنَّ الله -تعالى- يريد لنا أن نقتدي بهم في الخيرات والصالحات، وغير المعصوم لا يتمحض في الصَّلاح والخير كما هو واضح.

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

إنَّ الصّديقة فاطمة ﷺ على الرّغم من أنَّها قدوة في إيمانها وجهادها، وعبادتها وزهدها، وعلمها وثقافتها، وغير ذلك من الأمور المشتركة بين النِّساء والرِّجال، فهي قدوة للرجال والنِّساء معاً، إلاّ أنَّها ﷺ في حيائها وعفَّتها، وسترها وحجابها، وحسن تبعّلها وإدارتها لأطفالها وشؤون بيتها، وغيرها من الأمور الخاصَّة بالنِّساء، هي قدوة للنساء جميعاً، ومن هذه الجهة، يقال لفاطمة الزَّهراء ﷺ: إنَّها أفضل مثال وخير قدوة للنِّساء.

## فاطمة ﷺ هي القدوة

إنَّ السَّيِّدة العظيمة فاطمة الزَّهراء ﷺ أفضل مثال، وخير قدوة بعد أبيها وبعلها ﷺ للرجال والنّساء معاً، إذ كانت ﷺ القمَّة في كلِّ خير وبر، وكل فضيلة ومكرمة.

إنَّها ﷺ كانت مثال التّقوى والإيمان، ومثال العبادة والزّهد، ومثال الكفاح والجهاد، ومثال التَّضحية والفداء، حتى رحلت من الحياة وهي في مقتبل عمرها، وقضت شهيدةً مظلومةً بعد أن أسقطوا جنينها الذي سمَّاه رسول الله ﷺ مُحسناً [١] وقضى شهيداً، قبل أن يرى عالم النُّور!

استشهدت ﷺ في الدِّفاع عن ولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حين غصب القوم حقّه، وقد قال الله -تعالى-: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[٢]، إذ صّرح المفسرون بأنَّ (الذين آمنوا) الموصوفين بإيتاء الزّكاة في حال الركوع هو الإمام علي بن أبي طالب ﷺ دون غيره[٣].

وقد حصرت الآية الكريمة الولاية لله -تبارك وتعالى- وهو الحاكم المطلق، ولرسوله ﷺ وهو الحاكم بتعيين من الله -تعالى-، وللإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وهو المنصوص عليه بالحاكمية بعد رسول الله ﷺ.

## العائلة السَّعيدة

كانت الصِّدّيقة فاطمة ﷺ خير مثال للزوجة الصَّالحة، وكان زوجها علي بن أبي طالب ﷺ خير مثال للزوج الصَّالح، وكانت هذه العائلة المباركة خير أسوة للأُسر السَّعيدة، فلا مشاكل ولا جدال ولا كذب ولا خيانة، بل الحنان والمحبَّة والإيثار وحسن الخلق والتَّفاهم والطَّاعة والاهتمام بالآخر.. مضافاً إلى الإيمان والتَّقوى وخدمة الناس، والسَّعي في هدايتهم.

---

(١) شهادة المحسن ﷺ بإسقاطه من قبل الظلمة أمر لا ينكره من الإمامية الشيعة أحد، حتى عُرف عنهم هذا الأمر، ونقله علماء العامة عن الشّيعة على نحو التسليم، فمِمّن نقل ذلك عن الشّيعة أبو الحسن العمري في كتابه المجدي في النَّسب: (وقد روت الشّيعة خبر المحسن والرفسة)، وابن الصباغ المالكي: (وذكروا أنَّ فيهم ـ أي في أولاد الإمام ـ محسناً شقيقاً للحسن والحسين، ذكرته الشيعة وأنه كان سقطاً)، والزبيدي في تاج العروس: (المحسن بتشديد السين ذهب أكثر الإمامية من أنه كان حملاً فأسقطته فاطمة الزهراء -عليها السلام- لستة أشهر وذلك بعد استشهاد النبي -صلى الله عليه وآله-)،

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

(٣) روي هذا المعنى عن أمير المؤمنين -عليه السلام- وعمار بن ياسر وابن عباس وأبي رافع ومحمد بن الحنفية وسلمة بن كهيل والسدي وعتبة بن أبي حكيم ومجاهد وغيرهم. أنظر (جامع البيان): ج٦ ص٣٨٩ ـ ٣٩٠، شواهد التَّنزيل: ج١ ص٢١٦، تفسير القرطبي: ج٦ ص٢٢١، أحكام القرآن: ج٢ ص٥٥٧ ـ ٥٥٨، زاد المسير: ج٢ ص٢٩٢، الدّر المنثور: ج٢ ص٢٩٤، تاريخ دمشق: ج٤٢ ص٣٥٧. وغيرها من المصادر.

فهي -صلوات الله عليها- لم تكذب ولم تخن ولم تخالف زوجها منذ عاشرته، وقد قالت في اللحظات الأخيرة من حياتها: «يا ابن عمّ ما عهدتَّني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتُك منذ عاشرتَني»[١].

ونرى أيضاً أنَّ الحب والحنان والإيثار تجاه زوجها وأولادها عليها السلام هو الذي كان يخيّم على حياتها الزّوجيّة، وهكذا كان علي عليه السلام بالنسبة لها.

قال الإمام علي عليه السلام لها وهي توصيه بوصاياها: «قد عزّ عليّ مفارقتك وتفقدك... والله جدّدتِ عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله .. وقد عظُمت وفاتك وفقدك، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضّها وأحزنها.. هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزيّة لا خلف لها..» ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ علي عليه السلام رأسها وضمّها إلى صدره، ثم قال: «أوصيني بما شئتِ فإنَّك تجديني وفيّاً أمضي فيها كما أمرتني به وأختار أمرك على أمري»[٢].

وكان من مقوِّمات السَّعادة الزَّوجية في حياة الصِّدِّيقة فاطمة عليها السلام ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنَّ فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقمّ[٣] البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب نقل الحطب وأن يجيء بالطَّعام»[٤].

## الزَّواج المبكِّر

ممَّا يؤكِّد الإسلام عليه هو الزَّواج المبكِّر، فإنَّ فيه صون المجتمع من الفساد والانحراف الخلقي.

وما أكثر الرّوايات في الحثِّ على الزَّواج ومدحه وذمِّ العزوبة.

إنَّ الصِّدِّيقة الزَّهراء عليها السلام يوم تزوَّجت بأمير المؤمنين عليه السلام كان عمرها تسع سنين أو عشر سنين أو إحدى عشرة سنة[٥]، حسب الرُّوايات المختلفة؛ لأنهَّا عليها السلام تزوَّجت بعليٍّ عليه السلام بعد الهجرة بسنة[٦]..

وقيل: بسنتين..

---

(١) الأنوار البهية: ص٥٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) قممت البيت: إذا كنسته.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٢٥.

(٥) إنَّ ولادة السّيّدة الطّاهرة عليها السلام كان بعد البعثة بخمس سنين، فكان عمرها الشريف في عام الهجرة تسع سنين، وعلى رواية أنَّ الزواج كان بعد الهجرة بسنتين يكون عمرها عشر سنين، وعلى رواية الثلاث سنين يكون عمرها الشريف إحدى عشرة سنة.

(٦) حيث روى الشيخ الكليني -رحمه الله- في الكافي/ ج٨ / ص٣٤٠ بإسناده أن سعيد بن المسيب سأل الإمام زين العابدين: (متى زوج رسول الله -صلى الله عليه آله- فاطمة من علي؟ فقال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة وكان لها يومئذ تسع سنين).

وقيل[١]: بثلاث سنين.

قال ابن شهر آشوب في المناقب: تزوّجها علي عليه السلام أوّل يوم من ذي الحجة ...[٢].

## بيت فاطمة عليها السلام

كان البيت الذي تسكنه الصِّدِّيقة فاطمة عليها السلام في بداية زواجها بيت أجار، إذ استأجر البيت أمير المؤمنين علي عليه السلام ثم بنى رسول الله صلى الله عليه وآله لها ولأمير المؤمنين علي عليهما السلام بيتاً ملاصقاً للمسجد النَّبوي الشَّريف، وكان للبيت بابان، باب يفتح إلى المسجد وباب من الخارج، ولما جاء الأمر من الباري -عزّ وجلّ- بسدِّ الأبواب استثنى -سبحانه وتعالى- من ذلك باب بيت فاطمة عليها السلام[٣].

روي أنَّه «أمر رسول الله صلى الله عليه وآله النّساء أن يزيّنّ فاطمة عليها السلام ويطيّبنها ويصلحنَ من شأنها في حجرة أمّ سلمة، وأن يفرشن لها بيتاً كان قد هيَّأه الإمام علي عليه السلام بالأجرة وكان بعيداً عن بيت النَّبي صلى الله عليه وآله قليلاً، فلمَّا بنى بها حوّله النبي صلى الله عليه وآله إلى بيت قريب منه»[٤].

وكان بيتها متواضعاً جدّاً، فرشها الرَّمل وأثاثها الخزف..

كانت البساطة والقناعة هي الصّبغة الواضحة في زواج الصِّدّيقة فاطمة عليها السلام.. وقد روي أنَّ وليمة العرس كانت في المسجد النَّبوي الشَّريف، حيث ورد أنَّه "لما فرغوا من الطَّبخ أمر النبي صلى الله عليه وآله أن ينادي على رأس داره: أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فأجابوا من النَّخلات والزَّروع، فبسط النّطوع في المسجد وصدر الناس وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وسائر نساء المدينة... "[٥].

والبساطة في مختلف أمور الزَّواج من أهم المقوّمات لتسهيل هذا الأمر الحيوي، أمَّا التَّعقيد والبذخ والتَّرف فمن

---

(١) حكا السيد ابن طاووس -رحمه الله- في الإقبال/ ج٣/ ص٩٢ عن الشيخ المفيد -رحمه الله- في كتابه حدائق الرياض أنه قال: (ليلة إحدى وعشرين من المحرم وكانت ليلة خميس سنة ثلاث من الهجرة كان زفاف فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منزل أمير المؤمنين -عليه السلام- يستحب صومه شكراً لله تعالى لما وفق من جمع حجته وصفوته).

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص١٣٢ باب مناقب فاطمة الزهراء -عليها السلام-، وهذا القول هو جمع لما ورد في مصباح المتهجد: ص٦٧٢ من أنَّ ( أوَّل يوم من ذي الحجة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من أمير المؤمنين -عليهما السلام- وروي: أنَّه كان يوم السادس).

(٣) حديث سدّ الأبواب إلّا باب علي -عليه السلام- من الأحاديث المتواترة المشهورة، رواه أمير المؤمنين -عليه السلام- وسعد بن أبي وقاص وابن عباس وزيد بن الأرقم وعبد الله بن عمر وجابر بن سمرة وجابر بن عبدالله وعائشة وغيرهم، وهذه بعض مصادره: مسند أحمد: ج١ ص١٧٥ وص٣٣١ وج٤ ص٣٦٩، والترمذي في سننه: ج٥ ص٣٠٥، والحاكم في المستدرك: ج٣ ص١٢٥ وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وص١٣٣ وقال عنه أيضاً: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعمرو بن أبي عاصم في كتابه السنة: ص٥٨٥، وص٥٨٩ ح١٣٥١، وص٥٩٥، والنسائي في السنن الكبرى: ج٥ ص١١٢، وص١١٨، وص١١٩، وص١١٩، والنسائي أيضاً في خصائص أمير المؤمنين -عليه السلام-: ص٦٤ وذكر في ص٧٢ ـ ٧٦ (باب قول النبي صلى الله عليه وآله: أمرت بسد هذه البواب غير باب علي وروى فيها خمسة أحاديث عن زيد بن أرقم وسعد وابن عباس)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده: ج٢ ص٦١ ح٧٠٣، والطبراني في المعجم الأوسط: ج٤ ص١٨٦، والمعجم الكبير: ج٢ ص٢٤٦، وج١٢ ص٧٨ عن ابن عباس، وقد نقل ابن حجر (فتح الباري: ج٧ ص١٣) جملة من هذه الأحاديث ثم قال: (وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضاً وكل طريق منها صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات، وأخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصراً على بعض طرقه عنهم وأعلّه ببعض من تكلم فيه من رواته وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق.. وأخطأ في ذلك خطأ شنيعاً فإنه سلك في ذلك رد الأحاديث الصّحيحة بتوهّمه..)، وقال السيوطي في اللآلي: (هو حديث مشهور له طرق متعددة كل طريق لا يقصر عن رتبة الحسن وبمجموعها يقطع بصحته)، ونقل الفتني عن صاحب الوجيز قوله: (ولبعضها أي بعض الطرق طريق آخر صحيح وصحح الحاكم حديث سعد وأخرجه غير واحد).

(٤) راجع (أعيان الشيعة): ج١ ص٣٧٩.

(٥) مناقب آل أبي طالب/ ج٣/ ص١٢٩ .

معوّقات الزَّواج ومن أسباب كثرة العزوبة والفساد والعياذ بالله.

## ربّة بيت ورائدة أمة

لقد كانت الصِّدِّيقة فاطمة الزَّهراء ﷺ إلى جانب القيام بتربية أولادها بنيناً وبناتاً، من تعليم وتهذيب، تقوم بإدارة بيتها والأعمال المنزلية فيها مما أرهقها وأتعبها، فقد مجلت على إثر ذلك يداها، وتربت ثيابها، وبان التَّعب على وجهها ومحيّاها، فتأثّر من مشاهدة حالها أمير المؤمنين ﷺ، فقال لها، وكان قد فتح الله على يديه خيبر وغنم المسلمون أموالاً كثيرة، وإماءً وعبيداً كثيرين: يا بنت رسول الله: لو أتيت أباك ﷺ فسألتيه خادماً يعينك على أمور بيتك؟

فأتت فاطمة الزَّهراء ﷺ إلى أبيها ﷺ فرأت عنده أحداً فرجعت.

فعلم بها رسول الله ﷺ فأقبل ليلاً إلى دارها واستأذن في الدّخول.

فلمَّا دخل ﷺ سألها ﷺ عن سبب مجيئها ورجوعها؟ وكان علي ﷺ موجوداً في الدَّار أيضاً، فاستحيت ﷺ أن تُبيّن لأبيها سبب مجيئها.

عند ذلك قال أمير المؤمنين ﷺ: يا رسول الله لقد كان سبب مجيئها هو: أنَّ قلبي رقّ لها ممَّا أصابها من عمل البيت ومشقَّته، فقلت لها: لو أتيت أباك رسول الله ﷺ فسألتيه خادماً يعينك على أمر بيتك؟

فلمَّا سمع رسول الله ﷺ ذلك التفت إلى حبيبته فاطمة الزَّهراء ﷺ وقال لها: ألا أدلّك على ما هو أنفع لك من الخادم؟

فقالت: بلى يا رسول الله.

فعلّمها رسول الله ﷺ التَّسبيحة التي عرفت فيما بعد: بتسبيح الزَّهراء ﷺ وهي مائة تسبيحة مركبة من: أربع وثلاثين تكبيرة (الله أكبر)، وثلاث وثلاثين تحميدة (الحمد لله)، وثلاث وثلاثين تسبيحة (سبحان الله).

نعم إنَّ السَّيدة العظيمة فاطمة الزَّهراء ﷺ مضافاً إلى أنَّها كانت ربة بيت، وتقوم بشؤون البيت، فقد كانت معلّمة قديرة، وأستاذة كريمة، تتلمذ على يديها النّساء المسلمات[1]، فيتعلَّمن منها ﷺ الإسلام والقرآن، ويراجعنها في

(١) فممن روى عنها -عليها السلام- من النّساء: زينب الحوراء ﷺ، وأم سلمة، وأم أيمن، وأم هانئ أخت أمير المؤمنين -عليه السلام-، وخادمتها فضة، وأسماء بنت عميس، وسلمى أم رافع زوج أبي رافع، وزينب بنت أبي رافع جدة علي الرافعي، وبرة بن أمية الخزاعي، وغيرهنَّ، فضلاً عمن روى عنها من الرّجال مثل: أمير المؤمنين -عليه السلام-، وابناها الإمام الحسن والحسين -عليهما السلام-، وسلمان، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وعبدالله بن عباس، وأبو سعيد الخدري، ومحمود بن لبيد، والمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب زوج أمامة بعد أمير المؤمنين -عليه السلام-، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد الأنصاري، وغيرهم.

مسائل الدِّين وأحكام الشَّريعة الإسلامية، وكانت تُجيبهنَّ بطلاقة وجه، ورحابة صدر، وربما تُكرّر لهنَّ الجواب مراراً إذا اقتضى الحال للتكرار، حتى تفهم السَّائلة جواب مسألتها، وذلك بلا ملل.

## التَّأليف ونشر العلم

إنَّ السَّيِّدة العظيمة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مع كل ما سبق من كثير شغلها في البيت، كانت تؤلف وتكتب الكتب، حتى جمعت ما اسمه: (مصحف فاطمة عليها السلام) والمصحف يعني: الكتاب، فقد كانت عليها السلام هي أوَّل امرأة كاتبة في الإسلام، كما أنَّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان هو أوَّل كاتب في الإسلام، حيث جمع ما اسمه: (كتاب علي عليه السلام)[1] وهذان الكتابان مشهوران ولا غبار عليهما، وهما عند أولادهما المعصومين عليهم السلام يتوارثونهما بينهم، مما يكونان اليوم عند ولدهما الإمام المهدي-عجل الله تعالى فرجه- .

## ما ينبغي للمرأة

وبالتالي وانطلاقاً من قوله -تعالى-: **(قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)**[2]، وتعيين رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته عليهم السلام أسوة لنا، وسيدتهم: السيدة العظيمة فاطمة الزَّهراء عليها السلام قدوة للمجتمع الإنساني وللمرأة خاصة، يتضح أنَّه ينبغي للمرأة وخاصة المرأة المسلمة أن تقتدي بفاطمة الزَّهراء عليها السلام في كل شؤون حياتها، وتتأسَّى بها في جميع أمورها.

فتتعلم منها عليها السلام: الزواج المبكّر، وتتعلم منها عليها السلام: كيف تكون ربة بيت مؤمنة، ومربّية فاضلة، وصاحبة عمل يليق بها وبكرامتها من خياطة وما أشبه.

وتتعلّم منها عليها السلام: كيف تكون معلّمة أحكام وقرآن، وأخلاق وآداب، ودين وعقيدة.

وتتعلَّم منها عليها السلام: التَّأليف والكتابة، والتَّصنيف والتَّحقيق، وسائر ما روي عنها عليها السلام.

---

(١) (كتاب علي -عليه السلام-) فإنَّه محفوظ عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام بعد أن توارثه بعضهم عن البعض، وهو الآن عند مولانا الحجة (عجل الله تعالى فرجه)، وكانوا في بعض الأحيان يظهرونه لبعض الخواص، ويستدلون به على إثبات جملة من الأحكام الشَّرعية عند النّقاش مع علماء العامة أو غيرهم، ويسمّى أيضاً بالصّحيفة أو بالجامعة أو بمصحف علي -عليه السلام- وفي بعض الأحاديث أنَّ طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله -صلى الله عليه وآله- بعرض الأديم وهو باطن الجلد الذي يلي اللحم مثل فخذ الفالج والفالج هو الجمل الضخم ذو السنامين، وفي بعض الروايات: (أنه كتاب مدرج عظيم وإنه من إملاء رسول الله -صلى الله عليه وآله- وخط علي -عليه السلام-) وفيه كما صرّح الإمام الصادق -عليه السلام-: (كل حلال وحرام) وفي بعض الأخبار: (ما من حلال ولا حرام إلاّ وهو فيها حتى أرش الخدش)، بل في بعضها: (كل شيء يحتاج إليه الناس)، بل وفي بعضها أنَّ فيه: (ما يحتاج إليه ولد آدم منذ كانت الدنيا إلى أن تفنى)، وهنالك غيره من الصحف التي توارثها أهل البيت -عليهم السلام- منها: الجفر الأبيض والجفر الأحمر وغيرها وهي تحتوي على علوم كثيرة من الأحكام الشرعية وأخبار القبائل والملوك والأنبياء والأوصياء وأسماء الشيعة وأسماء آبائهم ومايصار إليه من أحداث وغيرها.

(٢) سورة الأحزاب/ الآية: ٢١.

وتتعلَّم منها عليها السلام: السِّتر والحجاب، والحياء والعفَّة، والخدر والحصانة، إذ هي عليها السلام القائلة في جواب أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال متسائلاً: أي شيء خير للمرأة؟ فقالت عليها السلام: «خير للمرأة أن لا ترى رجلاً، ولا يراها رجل» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله تأييداً لجوابها: «صدقت، إنَّها بضعة منِّي»[١]، وفي بعض الرُّوايات: «فضمَّها وقال: ذرّيّة بعضها من بعض»[٢] وفي رواية قال: «فداها أبوها»، علمًا بأنَّ مرادها عليها السلام من الرجل: الأجانب غير الزوج والأرحام.

## الشَّفقة والمحبَّة

كانت الصِّدّيقة فاطمة عليها السلام في قمَّة الشَّفقة والمحبَّة.

قال عبد الله بن الحسن عليه السلام: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام فقدَّمت إليه كسرة يابسة من خبز شعير، فأفطر عليها ثم قال: «يا بنية هذا أوَّل خبز أكل أبوك منذ ثلاثة أيَّام» فجعلت فاطمة عليها السلام تبكي ورسول الله صلى الله عليه وآله يمسح وجهها بيده[٣].

عن أبي ثعلبة الخشني: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رجع من غزاة أو سفر أتى المسجد فصلَّى فيه ركعتين، ثم ثنّى بفاطمة، ثم يأتي أزواجه.

فلما رجع خرج من المسجد فتلقّته فاطمة عليها السلام عند باب البيت تلثم فاه وعينيه وتبكي، فقال لها: «يا بنية ما يبكيك»؟ قالت: «يا رسول الله، ألا أراك شعثاً نصباً قد اخلولقت ثيابك»، قال: فقال صلى الله عليه وآله: «فلا تبكي، فإنَّ الله -عز وجل- بعث أباك لأمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلاّ أدخل الله به عزاً أو ذلاً حتى يبلغ حيث بلغ الليل»[٤].

## تقسيم الأدوار

هناك دروس عديدة يلزم أن يتعلَّمها الإنسان من الصِّدّيقة الطَّاهرة فاطمة الزَّهراء عليها السلام وخاصَّة فيما يرتبط بالأسرة المسلمة والبيت العائلي.

---

(١) انظر (مستدرك الوسائل)/ ج١٤ / ص١٨٣.

(٢) انظر (جامع السعادات)/ ج١/ ص٢٣٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب/ ج٣ / ص١١٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين/ ج٣ / ص١٥٥.

كما يلزم أن يتعلّم منها: الدِّفاع عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

وأيضاً يتعلَّم منها عليها السلام أخلاقها، وعبادتها، وإخلاصها، وتضحيتها في سبيل الله، وحسن تربيتها لأولادها، وحسن معاشرتها مع زوجها.

ومن أهم تلك الدّروس: حجابها ووقارها وما أرادته من الكرامة للمرأة المسلمة وغيرها.

إنَّ الأسرة تتكون من الزَّوج والزَّوجة ولكلٍّ منهما دوره في الحياة، وأفضل الأدوار ما قسَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة عليها السلام وصهره علي عليه السلام ..

عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «تقاضى علي وفاطمة عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الخدمة، فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه...»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز» [٢].

## الجار ثم الدَّار

الاهتمام بالآخرين من صفات الأولياء، وقد كانت الصِّدِّيقة فاطمة عليها السلام تهتمّ بالآخرين وبهدايتهم وإسعادهم وإرشادهم نحو الفضيلة وطلب الخير لهم.

عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام عن أخيه الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: «رأيت أمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعةً ساجدةً حتى اتَّضح عمود الصُّبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتُسمِّيهم وتكثر الدُّعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: «يا بني: الجار ثم الدَّار»[٣].

## الأعمال البيتية

ومن تلك الدّروس التي تستفاد من المدرسة الفاطميّة: حسن اهتمامها وإدارتها للأعمال البيتيّة.

---

(١) قرب الاسناد/ ص٥٢.

(٢) الكافي/ ج٥/ ص٨٦.

(٣) علل الشرائع/ ج١/ ص١٨٢.

عن أمير المؤمنين ﷺ قال: «إنَّ فاطمة ﷺ استقت بالقربة حتى أثّر في صدرها، وطحنت بالرّحى حتّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد»[١].

لقد حازت السيدة فاطمة الزَّهراء ﷺ من المكرمات والمزايا، كلّ ما حازته مريم ﷺ وازدادت عليها كرامة بأنَّ المسيح ﷺ سوف ينزل من السَّماء عند ظهور المهدي ﷺ؛ لينال كرامة الاقتداء بالمهدي ﷺ ويفوز بشرف الائتمام به ﷺ دون العكس[٢].

(١) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٨٢.

(٢) صلاة النبي عيسى -عليه السلام- خلف الإمام المهدي -عليه السلام- من القضايا المشهورة المتواترة، والتي جاء ذكرها في الروايات تصريحاً أم تلويحاً فمنها: ما رواه البخاري في صحيحه: ج٤ ص١٤٣ كتاب بدء الخلق، ومسلم في صحيحه: ج١ ص٩٤، وابن حبان في صحيحه: ج١٥ ص٢١٣ عن أبي هريرة أنَّه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: (كيف أنتم إذ نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)، وروى مسلم في صحيحه عن جابر أنَّه قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وآله- يقول: (لا تزال طائفة من أمَّتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال-صلى الله عليه وآله-: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة)، وروى أحمد في مسنده: ج٣ ص٣٦٨ عن جابر: (وإذا هم بعيسى فيقال: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم) وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد رواه أحمد باسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، وروى ابن ماجه عن أبي أمامة في سننه: ج٢ ص١٣٦١: (وكلهم أبي المسلمون، ببيت المقدس وامامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم إذ نزل عيسى فرجع الإمام ينكس ليتقدم عيسى فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول تقدم فإنَّها لك أقيمت)، وفي الجامع الصغير: ج٢ ص٥٤٦ وكنز العمال: ج١٤ ص٢٦٦: (منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه) وروى عبدالرزاق في المصنف: ج١١ ص٣٩٩: (باسناده عن ابن سيرين قال: ينزل ابن مريم .. فيقولون له: تقدم فيقول: بل يصلي بكم إمامكم أنتم أمراء بعضكم على بعض) وفي ح٢٠٨٣٩:(عن معمر كان ابن سيرين يرى: أنَّه المهدي الذي يصلي وراءه عيسى)، وروى ابن أبي شيبة في المصنف ج٨ ص٦٩: عن ابن سيرين أيضاً: قال: (المهدي من هذه الأمة وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم)، ورواه نعيم بن حماد في كتابه الفتن: ص٢٣٠ وروى في نفس الصفحة عن عبد الله بن عمر: (المهدي الذي ينزل عليه عيسى بن مريم ويصلي خلفه عيسى) وفي ص٣٥٢:(وتقام الصلاة فيرجع إمام المسلمين المهدي فيقول عيسى تقدم فلك أقيمت الصلاة).

فاطمة الزهراء
عليها السلام

# الأخلاق الفاطمية

فاطمة كامل المسعودي

الخلق الحسن صفة سيِّد المرسلين وأفضل أعمال الصِّدِّيقين، وهو على التَّحقيق شطر الدِّين، وثمرة مجاهدة المتَّقين، ورياضة المتعبِّدين.

كانت الصِّديقة فاطمة عليها السلام في أعلى درجات حسن الخلق، فإنَّها تربَّت في مدرسة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وقد شهد القرآن الكريم له صلى الله عليه وآله بالخُلُق العظيم إذ قال عزّوجلّ: (**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)[1].

فكانت فاطمة عليها السلام مُتَّصِفة بجميع المحامد وصفات الخير والكمالات النَّفسيَّة والأخلاقية، من الصِّدق والوفاء والزّهد والإيثار وحسن الجوار والعطف والمحبَّة والتَّضحية في سبيل الله-تعالى-.

وكانت عليها السلام بعيدة كل البعد عن الرَّذائل وصفات الشَّر، من الكذب والبخل والخيانة وحبّ الدّنيا وغيرها.

---

(١) سورة القلم/ الآية: ٤.

## بِرُّ الوالدين

كانت الصِّدّيقة فاطمة عليها السلام بارَّة بوالديها، كثيرة الاهتمام بهما، فكانت تُحدِّث أمّها خديجة عليها السلام وتُسلِّيها وتصبِّرها وهي في بطنها وتقول: يا أمّاه لا تحزني ..

قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «كانت فاطمة عليها السلام تحدِّثها من بطنها، وتُصبِّرها» [١].

وكانت تبكي على أُمِّها خديجة عليها السلام وتذكرها وتترحَّم عليها بعدما فارقت روحها الدُّنيا.

أمَّا بالنسبة إلى أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فبلغت في محبَّتها وشفقتها عليها حتى كُنِّيت بـ «أمِّ أبيها».

ورد أنَّه لَمَّا ألقت قريش سلا[٢] الجزور على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد، جاءت فاطمة فطرحته عنه[٣].

وفي الغزوات كانت تأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وتمسح الدَّم والتّراب عن وجهه، كما ورد في غزوة أُحُد أنَّه «لَمَّا جُرح النبي صلى الله عليه وآله يوم أُحُد جعل علي عليه السلام ينقل له الماء في درقته من المهراس[٤]، ويغسله فلم ينقطع الدَّم، فأتت فاطمة عليها السلام وجعلت تعانقه وتبكي، وأحرقت حصيراً وجعلت على الجرح من رماده فانقطع الدَّم»[٥].

وكانت عليها السلام كثيرة الحنان على والدها صلى الله عليه وآله.

وكانت كثيرة البكاء على أبيها صلى الله عليه وآله عندما فقدته .

## الحنان

كانت الصِّدّيقة عليها السلام كثيرة الحنان على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وبعلها أمير المؤمنين عليه السلام وأولادها عليهم السلام بل وحتى على شيعتها ومحبِّيها والمذنبين من أمَّة والدها الرَّسول صلى الله عليه وآله.

(١) دلائل الإمامة/ ص٧٧.

(٢) وهو وعاء جنين الجزور الذي يخرج المولود من بطن أمه ملفوفاً فيه.

(٣) انظر (مسند أبي داود الطيالسي): ص٤٣، وفيه: (وجاءت فاطمة فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك)، وفي شرح ابن أبي الحديد: ج٦ ص٢٨٢: (وروى أهل الحديث أنَّ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص، عهدوا إلى سلا جمل فرفعوه بينهم ووضعوه على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد بفناء الكعبة، فسال عليه فصبر ولم يرفع رأسه وبكى في سجوده ودعا عليهم، فجاءت ابنته فاطمة وهي باكية، فاحتضنت ذلك السلا فرفعته عنه فألقته وقامت على رأسه تبكي فرفع رأسه وقال صلى الله عليه وآله: (اللهم عليك بقريش)، قالها ثلاثاً ثم قال: رافعاً صوته: (إنِّي مظلوم فانتصر)، قالها ثلاثاً، ثم قام فدخل منزله وذلك بعد وفاة عمّه أبي طالب بشهرين).

(٤) المهراس: ماء بجبل أحد، دفن بقربه حمزة بن عبدالمطلب عليه السلام أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وآله.

(٥) بحار الأنوار/ ج٢٠ / ص١٤٤، وانظر (الكامل في التاريخ)/ ج٢/ ص١٥٧ ـ ١٥٨.

عن أبي أيُّوب الأنصاري قال: (إنَّ رسول الله ﷺ مرض مرضة، فدخلت عليه فاطمة عليها السلام تعوده، وهو ناقه من مرضه، فلمّا رأت ما برسول الله ﷺ من الجهد والضّعف خنقتها العبرة حتى جرت دمعتها على خدّها...)[١].

وعن علي عليه السلام قال: «غسّلتُ النبي ﷺ في قميصه، فكانت فاطمة عليها السلام تقول: أرني القميص، فإذا شمّته غُشي عليها، فلمّا رأيت ذلك غيّبته»[٢].

وفي ليلة الدَّفن عندما أراد علي عليه السلام أن يعقد الكفن ويدفنها نادى: «يا حسن .. يا حسين .. هلمّوا تزوّدوا من أمّكم ...فهذا الفراق، واللقاء في الجنَّة».

فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وهما يناديان: وا حسرة، لا تنطفئ أبداً، من فقد جدِّنا محمد المصطفى، وأمّنا فاطمة الزّهراء، يا أمّ الحسن يا أمّ الحسين، إذا لقيت جدّنا محمد المصطفى، فاقرئيه مِنَّا السّلام، وقولي له: إن قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا.

فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: "إنِّي أشهد الله أنَّها قد حنّت وأنّت ومدّت يديها وضمتهما إلى صدرها ملياً.. "[٣].

## البكاء

كثرة البكاء من الصِّفات المحمودة، البكاء من خوف الله، والبكاء على فقد المعصوم عليه السلام والبكاء على فقد الأحبَّة، والبكاء بما يرضي الرب، فإنَّ الدَّمعة محبوبة عند الله عزّ وجلّ.

قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «البكّاءون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليهم السلام ..

فأمَّا آدم عليه السلام فبكى حتّى صار في خديه أمثال الأودية.

وأمَّا يعقوب عليه السلام فبكى على يوسف عليه السلام حتى ذهب بصره وحتى قيل له: (تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)[٤].

وأما يوسف عليه السلام فبكى على يعقوب عليه السلام حتى تأذّى به أهل السّجن. فقالوا: إمَّا أن تبكي الليل وتسكت بالنَّهار، وإمّا أن تبكي النَّهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحد منهما.

وأمَّا فاطمة عليها السلام فبكت على رسول الله ﷺ حتى تأذّى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتينا بكثرة بكائك، وكانت عليها السلام

(١) العمدة/ ص٢٦٧.

(٢) بحار الأنوار/ ج٤٣/ ص١٥٨.

(٣) الأنوار البهية/ ص٦٢ ـ ٦٣.

(٤) سورة يوسف/ الآية: ٨٥.

تخرج إلى مقابر الشّهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف.

وأمَّا علي بن الحسين ﷺ فبكى على الحسين ﷺ عشرين سنة..[١]، ما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتى قال له مولى له: جُعلت فداك، إنِّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: (إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وحُزْنِي إِلَى اللهِ وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ)[٢]، إنيِّ لم أذكر مصرع بني فاطمة ﷺ إلّا خنقتني لذلك عبرة»[٣].

## الإيثار

كانت الصِّدّيقة فاطمة ﷺ قِمَّة في الإحسان إلى الآخرين، والإيثار والتَّضحية في سبيل الله -عزّ وجلّ-.

عن جابر بن عبد الله قال: إنَّ النبي ﷺ أقام أيَّاماً لم يطعم طعاماً حتى شقَّ ذلك عليه، وطاف في منازل أزواجه فلم يصب عند واحدة منهنَّ شيئاً، فأتى فاطمة ﷺ فقال: «يا بنية هل عندك شيء آكله فإنِّي جائع»؟

فقالت: «لا والله بأبي أنت وأمّي».

فلمَّا خرج ﷺ من عندها، بعث إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعته في جفنة لها وغطّت عليها وقالت: «لأوثرن بها رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي»، وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حسناً أو حسيناً ﷺ إلى رسول الله ﷺ فرجع إليها، فقالت: «بأبي أنت وأمي قد أتانا الله بشيء فخبأته».

قال ﷺ: «هلمّي»، فأتته فكشفت عن الجفنة، فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلمّا نظرت إليه بهتت، فعرفت أنَّها كرامة من الله عزّ وجلّ، فحمدت الله، وصلّت على نبيه ﷺ ..

فقال ﷺ: «من أين لك هذا يا بنية»؟

فقالت: (هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ)[٤].

فحمد الله عزّ وجلّ وقال ﷺ: "الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيّدة نساء العالمين في نساء بني إسرائيل في وقتهم، فإنَّها كانت إذا رزقها الله تعالى فسُئلت عنه (قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ) ".

فبعث رسول الله ﷺ إلى علي ﷺ ثم أكل رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجميع أزواج النبي ﷺ

(١) التّرديد من الرّاوي، ويظهر من التاريخ أنَّه ﷺ بكى على أبيه الحسين ﷺ أربعة وثلاثين عاماً، إن لم يكن أكثر، فقد وُلد ﷺ سنة ٣٨ هـ واستشهد سنة ٩٥هـ فيكون عمره المبارك سبعة وخمسين عاماً تقريباً، بقي مع أبيه ﷺ ثلاثة وعشرين سنة، وبعد أبيه ﷺ أربعة وثلاثين عاماً تقريباً.

(٢) سورة يوسف/ الآية: ٨٦.

(٣) وسائل الشيعة/ ج٣ / ص٢٨١.

(٤) سورة آل عمران/ الآية: ٣٧.

وأهل بيته عليهم السلام جميعاً وشبعوا، وبقيت الجفنة كما هي، قالت فاطمة عليها السلام: "فأوسعت منها على جميع جيراني وجعل الله فيها البركة والخير كما فعل الله بمريم عليها السلام "[١].

## الإخلاص

كانت الصِّدّيقة فاطمة عليها السلام في إيمانها وأفعالها ومواقفها ونواياها خالصة مخلصة لله -عزّوجلّ-، وهي التي تقول في خطبتها: "كلمة جعل الإخلاص تأويلها"[٢].

## تحمّل المشاق

تحمّل المشاق في سبيل الله -تعالى-من أفضل المكرمات وصفات الخير، وهكذا كانت الصِّدّيقة فاطمة عليها السلام.

لقد لاقت فاطمة الزّهراء عليها السلام كثيرًا من المصاعب والمتاعب منذ الأيَّام الأولى من حياتها، بل وحتى قبل ولادتها، إذ كانت النِّساء في مكة قد قاطعن أمّها خديجة عليها السلام على إثر زواجها من النَّبي صلى الله عليه وآله ولذلك لم يحضرنَ لمساعدتها عند الولادة، مع أنَّ المرأة بحاجة إلى من يساعدها في ذلك الوقت.

ثم بعد الولادة لاقت المصاعب الشَّديدة أيضاً، إذ كان المشركون قد اجتمعوا على مقاطعة النَّبي صلى الله عليه وآله ومن معه، ومحاصرتهم في شعب أبي طالب عليه السلام، وقضى النَّبي صلى الله عليه وآله مع من كان معه في الشّعب أيّاماً عجافاً، إذ لا لقاء مع أحد، ولا مواصلة من أحد، وكانوا يطوون جوعاً وعطشاً، وكان ينال فاطمة الزَّهراء عليها السلام على صغر سنّها ما ينال الجميع من أتعاب وأشجان.

وكانت السَّيّدة العظيمة فاطمة الزَّهراء عليها السلام في الخامسة من عمرها ـ وقد تراكم عليها صعوبات الشّعب ـ إذ فوجئت بارتحال أمِّها الحنون السَّيّدة خديجة عليها السلام وكانت هذه المصيبة المفاجئة ثقيلة وصعبة على البنت الصَّغيرة، والعظيمة في الحبّ والعاطفة، والجليلة في القدر والشَّأن، وعندما سلّم رسول الله صلى الله عليه وآله جثمان زوجته الوفيّة أم المؤمنين خديجة عليها السلام إلى القبر وأهال عليها التّراب، وتغيب شخص خديجة عليها السلام عن عيني البنت الحبيبة، فلم ترَ البنت المفجوعة بعد ذلك أمّها، وكانت تفتقد أمّها في مكانها، فكانت تذهب إلى كل نقطة كانت موجودة فيها السيدة خديجة عليها السلام من ذي قبل، وحيث لم تجدها كانت تأتي إلى أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وتجلس إلى جانبه، ثم تفاتحه بمسألتها وتقول بكلِّ لهفة: أبتاه أين والدتي؟ أبتاه أين ذهبت بأمّي؟

---

(١) بيت الأحزان/ ص٣٧، وانظر (تفسير ابن كثير)/ ج١/ ص٣٦٨.

(٢) دلائل الإمامة/ ص١١١.

فكانت تدمع عينا رسول الله ﷺ ويختنق بعبرته، ولا يستطيع الجواب على سؤال حبيبته ويتيمته فاطمة الزَّهراء عليها السلام، فكان جبرائيل عليه السلام يهبط إلى الأرض، ليبلغ من عند الله -تبارك وتعالى- السلام إلى حبيب الله وحبيبة حبيبه فاطمة الزّهراء عليها السلام ويقول: بأنَّ أمك يا فاطمة في الجنة، وقد ذهب الله بها إلى الفردوس الأعلى[١].

نعم إنَّ تحمّل المشاق والصّعاب في سبيل الله-تعالى- من أفضل المكرمات، وهكذا كان أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الصِّدّيقة فاطمة عليها السلام، فكم من ليلة باتت جائعة وقد أنفقت ما عندها في مرضاة الله-تعالى-، وهكذا كان رسول الله ﷺ حيث كان يشدّ حجر المجاعة على بطنه فيجوع ويُشبع الآخرين، وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام يتصدّق بما عنده فيبقى جائعاً.

روي أنَّ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ طحنت حتى مجلت يداها وطَبَّ الرّحى في يدها[٢].

وروي أنَّ النَّبي ﷺ رأى فاطمة الزَّهراء عليها السلام وعليها كساء من أجلة الإبل، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ.

فقال: «يا بنتاه، تعجلي مرارة الدّنيا بحلاوة الآخرة». فقالت: "يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشّكر لله على آلائه، فأنزل الله سبحانه:(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى)[٣] "[٤].

نعم هكذا تكون حياة العظماء فإنَّها مقرونة بالمصاعب؛ لأنَّ العظيم الرّباني ـ كفاطمة الزَّهراء عليها السلام ـ لا يتحمّل أن يرى الناس في فقر وجهل، وظلم وعدوان، فيكابد لإنقاذهم، وفي المقابل فإنَّ الظّالمين لا يتحمّلون العظماء لأنَّهم يرونهم خطراً على مصالحهم الشَّخصيّة ومنافعهم الفرديّة، فيكيدونهم ويزرعون طريقهم بالأشواك.

## السّلبيات الصَّعبة تتحول إلى إيجابيات طيبة

إنَّ ما نشاهده اليوم في العالم من الآداب والأخلاق، والأمن والرَّفاه، والصّلح والسَّلام، وغير ذلك من معاني الخير ـ ولو نسبيّاً ـ حتى عند غير المسلمين فإنَّما هو من نتائج أتعاب رسول الله ﷺ وأهل بيته الطَّاهرين عليهم السلام وسيِّدتهم: الصِّدّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وكل ذلك من آثارهم الطَّيِّبة، وثمار جهودهم القيّمة، وحصاد هممهم العالية.

(١) انظر (الجواهر السنية)/ ص٢٦٤.

(٢) المناقب/ ج٣/ ص٣٤١.

(٣) سورة الضحى/ الآية: ٥.

(٤) التمحيص، لمحمد بن همام الإسكافي/ ص٦.

وذلك لأنَّ رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام غيّروا الدّنيا عمّا كانت عليه من الجاهلية الجهلاء، وما كانت فيه من الحرب والشّقاء، والعنف والإرهاب، إلى ما يليق بالإنسان والإنسانيّة، وإلى ما هو في صالح البشريّة كلّها، وليس ما هو صالح للمسلمين فحسب.

ومن هذا المنطلق يأتي الحديث الشريف بقوله ﷺ المعروف: «أنا الرَّحمة المهداة»، أي: الرَّحمة التي أشار إليها رب العالمين في كتابه الحكيم وقرآنه القويم والذي أهداه إلى النَّاس أجمعين إذ يقول -تعالى- مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[1]، فكان ﷺ هو وأهل بيته الطّاهرين عليهم السلام وسيدتهم: السَّيّدة العظيمة فاطمة الزّهراء عليها السلام بما تحمّلوا وبما بيّنوا لنا من ثقافة السَّماء: الرَّحمة لكلّ العالمين حقّاً.

ويُعرف هذا المعنى جليّاً، من مقارنة ولو سطحيّة وعابرة بين الدّنيا قبل ظهور الإسلام، وبين الدّنيا بعد الإسلام وفي الحال الحاضر أيضاً، فإنَّ التَّغيير الكبير في صالح الإنسان والإنسانيّة، الحاصل في الدّنيا بعد ظهور الإسلام إنَّما هو ببركة الجهود العظيمة والتَّضحيات الكبيرة، وتحمّل الصّعاب والمشاق من رسول الله ﷺ وأهل بيته الطّاهرين عليهم السلام .

إنَّ آلاف القوانين السَّماوية التي جاء بها الرَّسول الكريم ﷺ من عند الله -تعالى- في الكتاب الكريم، وفي سنَّته الشَّريفة، وذكرها أهل بيته المعصومين عليهم السلام والسَّيّدة العظيمة فاطمة الزّهراء عليها السلام في رواياتهم وكلماتهم النّوارنية، وما بيّنوه للعالم من عملهم بتلك القوانين، هي التي استطاعت أن تغيّر الدّنيا وما فيها، وتحوّلها من الشّقاء إلى السعادة، ومن الضيق إلى السّعة، ومن الفقر إلى الرِّضا والرَّفاه، ومن البدائية والتَّوحّش إلى التَّمدّن والحضارة.

نعم، لو أنَّ هناك لجنة مثابرة، مجدّة وناشطة، تقوم بجمع واستقصاء المستمسكات التاريخية، التي تعرّضت لبيان أحوال العالم قبل الإسلام، وتجمع وتستقصي أيضاً ما كتب في التاريخ من أحوال العالم حين ظهور الإسلام وحتى هذا اليوم ـ وهو يحتاج إلى مجلدات ضخمة وكثيرة ـ لظهر جليّاً ما أشرنا إليه من الفرق الكبير والتّغيير العظيم الذي أحدثه الرّسول ﷺ وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام وسيدتهم فاطمة الزَّهراء عليها السلام في العالم.

إنَّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت قد وقفت نفسها وبذلت عمرها في سبيل الله جنباً إلى جنب أبيها رسول الله ﷺ وبعلها أمير المؤمنين عليه السلام، فكانوا -(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) والأصحاب الأوفياء لأهل البيت عليهم السلام والمخلصون لله -تعالى-، هم من أسَّس الحضارة الموجودة، وعَمَّروا الدُّنيا المتمدِّنة والعالم المتحضّر، في حين أنَّهم عليهم السلام كانوا في أشدِّ التَّعب والنّصب، وأعظم العناء والمشقَّة.

---

(١) سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٧.

## الإنفاق

من أفضل الصِّفات الحسنة: الإنفاق، وقد ورد التَّأكيد عليه في الآيات القرآنية والرُّوايات الشَّريفة كثيراً..

وهكذا كانت الصِّدّيقة فاطمة عليها السلام خير أسوة في الإنفاق في سبيل الله -تعالى-.

ففي رواية قدوم النَّبي صلى الله عليه وآله عليها من سفرة: نزعت فاطمة عليها السلام قلادتها وقرطيها ومسكتيها ونزعت الستر فبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله... وهي تقول: «تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول: اجعل هذا في سبيل الله»[١].

وقد روي[٢] أنَّه كانت للصديقة فاطمة عليها السلام سبعة بساتين وقفتها على بني هاشم وبني عبد المطلب، وجعلت النَّظر فيها والولاية لعلي عليه السلام مُدَّة حياته، وبعده للحسن عليه السلام وبعده للحسين عليه السلام وبعده للأكبر من ولدها..

وهذه البساتين[٣]، هي:

العواف[٤]، و(الدلال، والبرقة، والميثب، والصافية)[٥]، والحسنى[٦]، ومال أم ابراهيم[٧].

---

(١) حلية الأبرار: ج١ ص٢٠٨.

(٢) راجع (مختلف الشيعة): ج٦ ص٣٠٣.

(٣) وهذه البساتين أو الحيطان كان قد أوصى بها مخيريق اليهودي للنبي صلى الله عليه وآله بعدما أسلم، وقيل: هي من أموال بني النّضير مما أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله وقيل: غير ذلك، وكانت ملكاً خاصاً لرسول الله صلى الله عليه وآله أعطاها للصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في حياته.

(٤) العواف أو الأعرف: جِزَع، بالكسر، منعطف الوادي معروف بالعالية (اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمارها إلى تهامة) يسقيه سيل مهزور، وهو وادي قريظة، وهو بالعالية في المدينة يهبط من حرة ينصب منه مياه عذبة من مياه الأمطار).

(٥) هذه بساتين متجاورات في شرق المدينة يسقيها سيل مهزور أيضاً.

(٦) موضع بالقف (وهو واد بالمدينة) بقرب الدلال يسقيها مهزور أيضاً.

(٧) مشربة أم إبراهيم أي غرفتها، وهو موضع بالعوالي بالفتح، ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال، وقيل: أكثر، وقيل: أقل. بين النخيل وهو أكمة قد حوّط عليها بلبن.

# بِرّ فاطمة عليها السلام خير العمل

السيد حيدر الياسري

ذكرت كتب الحديث والتاريخ أنّ لـ «حيّ على خير العمل» الموجودة في الأذان الشريف مَعنيَين:

١. ظاهريّ.

٢. باطنيّ.

أمّا المعنى الظّاهري لجملة «حيّ على خير العمل» فهو: أنّ خير الأعمال الصّلاة والدَّعوة إلى إتيانها، وهذا هو الفهم الأوّلي المتبادر للذهن.

وتدلّ عليه رواية الصّدوق في علل الشّرائع وعيون أخبار الرّضا فيما رواه من العلل عن الإمام الرّضا عليه السلام... فقال: أخبِرني عن الأذان، لِمَ أُمروا به؟

قال: لعلل كثيرة، منها: أن يكون تذكيراً للساهي، وتنبيهاً للغافل، وتعريفاً لمن جهل الوقت... إلى أن يقول: فجعل النِّداء إلى الصلاة في وسط الأذان، فقدّم قبلها أربعاً: التَّكبيرتين والشَّهادتين، وأخّر بعدها أربعاً: يدعو إلى الفلاح حثاً على البر والصلاة، ثمّ دعا إلى خير العمل مرغّباً فيها وفي عملها وفي أدائها، ثمّ نادى بالتَّكبير والتَّهليل ليتمّ بعدها أربعاً...[1].

(١) علل الشرائع/ ٢٥٩، عيون أخبار الرضا/ ٢/ ١٠٣.

أما المعنى الباطني المكنون ـ الذي يعرفه أهل البيت عليهم السلام ومن نزل في بيوتهم الكتاب والوحي ـ فهو ما رواه الصدوق في معاني الأخبار وعلل الشَّرائع، بإسناده عن محمّد بن مروان، عن الباقر عليه السلام، قال: أتدري ما تفسير «حيّ على خير العمل»؟

قال، قلت: لا.

قال: دعاك إلى البرّ، أتدري بِرُّ مَن؟

قلت: لا.

قال: دعاك إلى برِّ فاطمة وولدها[١].

وفي خبر آخر عن الصَّادق عليه السلام: سئل عن معنى «حيّ على خير العمل». فقال: خير العمل الولاية[٢].

هذا وقد علّل الإمام الكاظم عليه السلام سببَ حذف الثاني لهذه العبارة من الأذان بسببين: ظاهري وباطني.

إذ روى الصَّدوق في كتاب علل الشَّرائع بسنده الحسن بل الصحيح عن ابن أبي عمير أنّه سأل أبا الحسن (الكاظم) عن «حيّ على خير العمل» لِمَ تركت من الأذان؟

قال: تريد العِلّة الظَّاهرة أو الباطنة؟

قلت: أريدهما جميعاً.

فقال: أمّا العلة الظَّاهرة فلئلا يدع الناس الجهاد اتّكالاً على الصلاة، وأمّا الباطنة فإنّ «خير العمل» الولاية، فأراد مِن أمره بترك «حيّ على خير العمل» من الأذان أن لا يقع حثٌّ عليها ودعاءٌ إليها[٣].

فما وجه التَّرابط بين الصَّلاة والدَّعوة إلى بِرِّ فاطمة وولدها عليهم السلام ؟

بل ما يُعنى بمجيء الولاية وبرِّ فاطمة وولدها في الأذان للصلاة؟

وهل حقّاً أنَّ جملة «خير العمل» هي الولاية أم أنَّها: الصلاة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؟.. وهل هناك تناف بين الرؤيتين.

إنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد أجابوا عن هذه التَّساؤلات، وبيَّنوا فوائد عديدة من الحديث الشَّريف:

---

(١) معاني الأخبار/ ٤٢، علل الشرائع/ ٣٦٨.

(٢) التوحيد للصدوق/ ٢٤١.

(٣) علل الشرائع/ ٣٦٨.

ومنها:

## أوَّلاً: وجود حي على خير العمل في أصل الأذان

روى القاضي زيد الكلاري في شرح التَّحرير، عن الإمام القاسم بن إبراهيم أنّه قال: فأمّا (حيّ على خير العمل) فكانت في الأذان، فسمعها الثاني يوماً فأمر بالإمساك فيه عنها وقال: إذا سمعها الناس ضيّعوا الجهاد لموضعها واتّكلوا عليه[١] .

وقال في المنتخب: وأمّا (حيّ على خير العمل) فلم تَزَل على عهد رسول الله ﷺ حتّى قبضه الله عزّ وجلّ، وفي عهد الأول حتّى مات، وإنّما تركها الثاني وأمر بذلك، فقيل له: لم تركتها ؟ فقال: لئلّا يتّكل الناس عليها ويتركوا الجهاد[٢].

وهنالك نصوص عديدة دالّة على أنّ إسقاط (حيّ على خير العمل) من الأذان كان في عهد الثَّاني.

ومن هنا تعرف أنّ المقصود من كلمة بلال ( لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله ) أنّها تعني: أنَّني لا أؤذّن لأحدٍ اغتصب الخلافة ظلماً بعد رسول الله ومن جدّ في حذف ما يدل على الإمامة والولاية وإسقاطها من الأذان .

وخلاصة القول: أنّ الحيعلة الثالثة (حيّ على خير العمل) كانت على زمن رسول اللهَّ ﷺ، وزمن الأول، وصدراً من عهد الثاني، ثمّ حذفها في أيّام حكومته، لكنّه اصطدم بمعارضة بلال مؤذن النبيّ ﷺ الذائع الصِّيت، الذي رفض أنْ يؤذن، فأبعدوه عن منصبه الذي وضعه فيه النبيّ ﷺ ، وأبدلوه بسعد القرظ .

## ثانياً: تضمنه أصول الدِّين:

إنَّ الأذان وإن كان من شعائر الدِّين، لكنّ فصوله تنطوي على أهم أصول الدِّين، والاعتقاد بالإمامة عندنا من أصول المذهب، وقد وضّح الإمام الباقر عليه السلام مكانة الإمامة بين العبادات الخمس، وقد سأله عنها زرارة بقوله: وأيّ شيء من ذلك أفضل؟

قال: الولاية أفضل؛ لأنّها مفتاحهنّ، والوالي هو الدَّليل عليهنّ ـ إلى أن قال ـ إنّ أفضل الأشياء ما أنت عليه إذا فاتَكَ لم يكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤدّيه...

---

(١) الأذان بحيّ على خير العمل: ١٥٣ .

(٢) انظر الإيضاح للقاضي نعمان : ١٠٨، وراجع: الإيضاح : ٢٠٦ وكتاب العلوم ١ : ٩٢ والاعتصام بحبل اللهَّ المتين ١: ٢٦٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ . .

## ثالثاً: الارتباط الدَّائم بين أصول الدين

قال الله -تعالى- في الحديث القدسي لرسوله الكريم ﷺ:

«يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[1].

إنَّ الله -سبحانه وتعالى- يخاطب الرَّسول الأعظم ﷺ ويقول: (يا أحمد: لولاك لما خلقت الأفلاك) فهو ﷺ الغاية من خلق الأفلاك (ولولا علي.. لما خلقتك) أنت..، (ولولا فاطمة الزَّهراء لما خلقتكما).

وفي هذا الشطر ـ الأخير ـ تظهر لنا قيمة الزَّهراءعليها السلام وعظمتها عند الله -سبحانه وتعالى- وعند رسوله ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام وما لها من الفضل الكبير والتَّأثير الوضعي والتَّكويني على خلق هذا الكون والنَّاس أجمعين..

## أهل البيت عليهم السلام يحفظون المسيرة

ولقد جمع معاوية بن أبي سفيان حوله مجموعة من الذين لا يخافون الله وكانوا من أهل الدّنيا.. فكوّن بهم إسلاماً خاصّاً به، ونظاماً أسوأ حالاً من الجاهلية، وبفعل هذا الإسلام السّفياني أخذ الناس يقتل بعضهم بعضاً باسم الدِّين، ومن جملة ما فعله معاوية: أنّه أحرق في اليمن أربعين ألف مسلم وذلك باسم الدِّين.

ولولا وقوف أمير المؤمنين عليه السلام بوجه معاوية لكان الدِّين الإسلامي وسيلة لتحقيق الظّلم والجور واستغلال ونهب حقوق الآخرين.

فإنَّ العقل والمنطق يؤيِّد هذا الحديث القدسي (السَّابق الذكر)؛ إذ لولا مجيء أمير المؤمنين والأئمة المعصومينعليهم السلام بعد الرَّسول الأكرم ﷺ لما عرف الناس حقيقة الإسلام، ولظنّوا أنَّ الإسلام يتمثَّل بالانحراف الأموي إذ جعل بنو أمية من الإسلام وسيلة لخدمة أغراضهم الدّنيوية وإشباعاً لرغباتهم وأهوائهم ..

ولولا أهل البيت عليهم السلام لانطمست معالم الدِّين الحنيف وانطفأت أنواره، ولساد في المجتمع الإسلامي اعتقادٌ مفاده أنَّ الدِّين هو هذا الظّلم والجور والانحراف الأموي؛ وذلك لأنَّ الناس المعاصرين لحكومة بني أمية لم يروا السّنّة الحسنة التي جسَّدها رسول الله ﷺ في بناء المجتمع الإسلامي.

فهل جرائم معاوية وأمثاله كانت من سُنَّة رسول الله ﷺ؟

كلَّا.. فإنَّهم كانوا يعلنون الفساد والانحراف والابتعاد عن أحكام الدّين، وكانوا يشربون الخمور ويقتلون الأبرياء

(١) راجع: (كشف اللآلي) للعرندس على ما نقله السيد مير جهاني في (الجنة العاصمة)، والعلامة المرندي في (ملتقى البحرين): ص١٤، و(مستدرك سفينة البحار): ج٣ ص٣٣٤، ونقله (عوالم العلوم): ص٢٦ عن (مجمع النورين)، و(من فقه الزهراء عليها السلام)/ ج١/ ص١٩.

بغير ذنب، ويهتكون الأعراض والحرمات، وكل ذلك باسم خلافة رسول الله ﷺ ولم يكونوا ليكتفوا بذلك، بل كانوا يزعمون بأنّهم (ظل الله في الأرض) وأنَّ أفعالهم كلّها صحيحة ومطابقة للشرع..

وقد نقل عن معاوية أنَّه قال يوماً للمغيرة بن شعبة: «أنَّ الحمر قد ازدادوا وقد فكرت أن أقتل ثلثهم»[1].

## • ما وراء حذف الحيعلة الثّالثة

إنّ ما ذكر من تعليلٍ لحذف الحيعلة الثالثة قد يكون وجيهاً عند من حذفها؛ وللظروف التي كان يعيشها من غزوات وحروب وتوسيعٍ لرقعة الدولة، وهو ممّا يستوجب بالطبع جمع الطاقات وتوظيفها للغرض المنشود، وعدم السماح للمتقاعدين في التّشبّث بعلل قد تبعدهم عن الجهاد، من جملتها الاتكال على الصَّلاة أو الولاية باعتبارهما خير العمل .

لكنّ هذا السبب في المنع ترد عليه عدَّة أمور:

**أوّلها**: إنّ الغزوات والحروب كانت أعظم وأكثر على عهد رسول الله ﷺ، وكانت ظروف انبثاق الدولة الإسلاميّة الفتيّة وبداية انطلاقها لنشر دين الله أدعى إلى حذف هذه الحيعلة من قِبل رسول الله ﷺ ـ لو صحّ هذا التعليل ـ من الظروف التالية التي عاشها الخليفة بعد استقرار أمور الدولة بشكلها الذي كانت عليه . فلماذا لم يحذف رسولُ الله ﷺ هذا الفصل وحذفها غيره ؟!

إنّ هذا لَيثير تساؤلاً حول صحّة هذا التَّعليل الذي فسّر به من حذف هذه الحيعلة الثالثة، أو يومئ إلى وجود سبب آخر غير معلن في هذا السياق .

**ثانيها**: لو قبلنا التَّعليل السَّابق تنزّلاً لصحَّت مشروعية الحذف لفترة معيّنة، لا أنّه يكون تشريعاً لكلّ الأزمان، ذلك أنَّ سريان المنع إلى يومنا هذا ربما يشير إلى أمرٍ آخر.

**ثالثها**: إنّ هذا التَّعليل لا يتّفق مع ما جاء عن رسول الله ﷺ من قوله: (اعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة) وهو لا يتّفق أيضاً مع قوله ﷺ عن الصلاة: (إنّها عمود الدين إن قُبلت قُبل ما سواها وإن رُدَّت رُدّ ما سواها)، فلو صحّ تعليل الخليفة وأنّه أراد أن لا يتّكل الناس على الصلاة ويَدَعُوا الجهاد، للزم وهذا التَّعليل والرّد، ورد نظيرهما في إتمام عثمان للصلاة بمنى، بحجّة خوفه أن يظن النَّاس أنّ صلاة القصر هي المفروضة، فأجابه الصّحابة بأنَّ النبيّ ﷺ كان يقصر الصلاة وينبّه المسلمين على أنّ ذلك مخصوص بمنى. فلو صحّ التَّعليل، لكان يمكنه أن يقر الحيعلة الثالثة في

(١) الحمر: يعني «الحمراء» وهم الموالي الذين اعتنقوا الإسلام بعد أسرهم، وفي القاموس: الموالي والحمراء هم العجم أي كل ما سوى العرب.

الأذان وينبّه المسلمين على ضرورة الجهاد، كما كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك. وهذا التَّشابه في أدوار الثاني والثالث يوقفك على مسار تيّار الحكّام المجتهدين .

**رابعاً**: من المعلوم أنّ المسلمين صاروا بعد رسول الله ﷺ نهجين: أحدهما: نهج الخلفاء، والآخر: نهج أهل البيت عليهم السلام. وكان هؤلاء على تخالف في كثير من القضايا السياسية والفقهية، فلمّا منعت الحيعلة الثالثة نَسَبَ نهجُ الخلفاء إلى رسول الله ﷺ المنعَ تأييداً لمن حذفها، حتّى إذا جاء اللاحقون منعوا هذا الفصل من الأذان واستقبحوه من الناس، ولأجله ترى انحسار الرّوايات الدّالّة على الحيعلة في كتب الجمهور، لكنّ الطّالبيِّين أصرّوا على الإتيان بها على الرّغم من هذا المنع .

**خامساً**: إنّ المطّلع على مجريات الأحداث في زمن رسول الله ﷺ ثمّ مَن بعده يقف على حقيقة جليّة، هي أنّ قريشاً لم تكن ترضى باجتماع النّبوّة والخلافة في بني هاشم، وكانت تطمع في الخلافة من بعده ﷺ، فكانوا يشترطون على رسول الله أن يبايعوه بشرط أن يجعل لهم نصيباً في الخلافة من بعده.

**سادساً**: إنَّ الخلفاء المتأخّرين أيضاً أدركوا سرّ الحيعلة الثَّالثة فحرصوا أشدّ الحرص على حذفها، ولم يرضوا بها ممّن خطب لهم ولَبِسَ خِلَعَهم وانضوى تحت لوائهم، بل أصرّوا على ضرورة حذفها؛ لأنّها رمز يشير إلى بطلان حكوماتهم.

وحسبك منها ما كان من القائم بأمر الله العباسي، حين أخبره نقيب النقباء أبو الفوارس طرّاد بأنّ محمود بن صالح خطب له بحلب ولبس الخلع القائمية، حيث قال له: أيّ شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون بـ (حيّ على خير العمل) !!

كلّ هذه النّصوص تؤكّد أنّ المراد الأساسي من ( خير العمل ) هو بِرّ فاطمة وولدها، والولاية والإمامة التي بها قوام الصّلاة والصّوم والزّكاة والحجّ وسواها ... لا شيء آخر، فصار الخليفة ـ حسب كلام الإمام المعصوم، والاستقراء التاريخي ـ لا يرضى أن يقع ( دعاء إليها وتحريض عليها)؛ لأنَّ ذلك يعني التَّشكيك بشرعيّة خلافته وخلافة مَن قبله، وهو المعنيّ من كلامه عليه السلام: ( ما نودي بشيء كالولاية ) .

وجاء في الغَيبة للنعماني عن عبد الله بن سنان أنّه عليه السلام قال في معرض كلامه عن علامات ظهور القائم من آل محمّد (عجل الله تعالى فرجه الشريف): (وأنّه سيكون في السّماء نداء: ألا إنّ الحقّ في عليّ وشيعته) .

قال عليه السلام: ( (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) على الحق وهو النّداء الأوّل[١]، ويرتاب يومئذٍ الذين في قلوبهم مرض، والمرضُ والله عداوتُنا)[٢].

ولو قرأنا تفسير الأئمّة لقوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) لعرفنا المنزلة العظيمة للولاية وسبب معاقبة الثاني للقائل بها، لأنّ الكلم الطَّيّب لو كان قد صعد إليه سبحانه وتعالى بنفسه، فما معنى العمل الصَّالح يرفعه إذن ؟!

روى الكليني بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال: (ولايتنا أهل البيت ـ وأهوى بيده إلى صدره ـ فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عمل)[٣].

وعن الرِّضا عليه السلام في قوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال: (الكلم الطيب هو قول المؤمن: ( لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ ولي الله وخليفة محمّد رسول الله حقاً حقاً وخلفاؤه خلفاء الله)، والعمل الصّالح يرفعه، فهو دليله، وعمله اعتقاده الذي في قلبه بأنّ هذا الكلام صحيحٌ كما قلته بلساني)[٤].

وعن فاطمة الزَّهراء بنت محمّد، قالت: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا عرج بي إلى السَّماء صرت إلى سدرة المنتهى ( فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ) فأبصرته بقلبي ولم أره بعيني، فسمعت أذاناً مثنى مثنى، وإقامة وتراً وتراً، فسمعت منادياً ينادي: يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشي اشهدوا أنّي لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي، قالوا: شهدنا وأقررنا، قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأنَّ محمّداً عبدي ورسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا، قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأنَّ عليّاً وليي وولي المؤمنين بعد رسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا ...)[٥].

وبهذا يفضي بنا البحث إلى أنّ التعليل الحقيقي للمنع من الحيعلة الثّالثة هو الاطلاع على المقصود من عبارة (حيّ على خير العمل) في الأذان.

ودلالتها على ولاية أهل البيت، لصرف الانتباه عنها، وذلك بكتمانها وحذفها، فمَنَعها تحت غطاء الحفاظ على كيان الدّولة الإسلامية وتوسيع رقعتها بالجهاد، لكن الطّالبيين قد أدركوا هذا الأمر وأصرّوا على الإتيان بها رغم كلّ الظُّروف الحالكة.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٢١ وقال : ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب "تاريخ بغداد" في كتابه مسنداً .

(٢) عمدة القارئ ٢: ١٧١ .

(٣) وفي نص البخاري : (إنّ الرجل قد غلب عليه الوجع) ، وكلاهما إساءة للرسول المصطفى صلى الله عليه وآله .

(٤) سنن الدارمي ١: ١١٥ باب ما يتقي من تفسير حديث النبي صلى الله عليه وآله، مسند أحمد ٤: ٢٦٦ ، المصنف لعبد الرزاق ٦: ١١٣ باب مسألة أهل الكتاب ، أسد الغابة ٣: ١٢٧ .

(٥) صحيح البخاري ٥ ـ ٦: ٢٥٣ ، كتاب المغازي باب غزوة خيبر ح ٧٠٤ ، صحيح مسلم ٣: ١٣٧٩ .

ولذلك كان الإمام عليّ عليه السلام في أيّام خلافته يلمح ويشير إلى أنّ حذف (حيّ على خير العمل) كان جوراً عليه وعلى الإسلام، فكان إذا سمع مؤذّنه يقول (حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل) قال: (مرحباً بالقائلين عدلاً)[١]، معرّضاً بمن رفعها، لأنّ عليّاً هو خير العمل وهو العدل الذي يدور مع القرآن حيثما دار ويدور معه القرآن أيضاً .

والذين ظنوا أنّ الصلاة تقتصر على شكلها الظّاهري دون المحتوى الذي هو الطّاعة[٢] سعوا إلى ترسيخ فكرة أنّ أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم ليست خير العمل، فكان لحذفها من الأذان مغزى عرفه أهل البيت عليهم السلام فأنكروا حذفها، كما عرفه مخالفوهم فأصرّوا على حذفها .

ومن خلال هذه الدّلائل العديدة استبان لنا أنّ ( خير العمل ) كناية عن إمامة عليّ عليه السلام التي هي امتداد لنبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله، وامتداد للتوحيد، وهذا ما رواه الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام من أئمّة أهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى: (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) قالا: (هو : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين وليّ الله)[٣].

وهذا يعني أنّ هذا التّفسير لحي على خير العمل كان سائداً في لسان المتشرّعة منذ زمن أهل البيت عليهم السلام وحتّى يومنا هذا .

وبعد كلّ هذا تعلم أنّ قول: ( محمّد وآل محمّد خير البرية ) أو ( محمّد وعليّ خير البشر ) عند الحيعلة الثالثة أو بعدها إنّما هو توضيح لمعناها الذي حاول الحكّام كتمه، وأنَّ هذا التّوضيح والتّفسير ما هو إلّا استلهام من نصوص القرآن والسّنّة، وسيرٌ على الخطوات الصّحيحة التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وآله لأمّته .

---

(١) مسند أحمد ٣: ٢٥٩ ، ٢٨٥ ، سنن الترمذي ٥: ٣٥١ ، كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأحزاب ، المستدرك للحاكم ٣: ١٥٨ ، مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٣٩١ .

(٢) أي طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة وليّه ، والأخيران منتزعان من الأولى ، وقد مرّ عليك قوله صلى الله عليه وآله: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني) ، وقوله صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني ... فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله جلّ وعلا) .

(٣) مسند الإمام الرضا عليه السلام/ ج٢/ ص١٩.

# فدك
## رمز الولاية والحق السَّليب

جنان مالك

الحديث عن السيدة الزَّهراء-صلوات الله عليها- هو حديث عن الرّضا والغضب والنّور الإلهي لوحدة الرضا والغضب بينهما، فالله -سبحانه- يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، والله المحسن وهي نور الله -جلَّ جلاله-.

وهنا لنا وقفة يسيرة مع عنوان الولاية والحقِّ السَّليب من أهل بيت النُّبوة عليهن السلام تلك هي فدك التي جاءت لتعبِّر عن معاني الولاء والبراءة بالنسبة للذين يقفون في سدّة الحكم الإسلامي بعد رحيل النَّبي الكريم صلى الله عليه وآله، وفي خضمّ الأحداث إلى وقتنا الحاضر وما زال الجهّال بحقائق الأمور يتغافلون ويتناسون هذه الحقيقة الواضحة البراهين في إرث الزَّهراء عليها السلام خاصة والولاية لعلي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله عامة .

### فدك في اللغة:

في معجم البلدان للحموي: باب الفاء والدّال - فدك - بالتحريك قرية بالحجاز. بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله في سنة سبع صلحا، وذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وآله لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبقَ إلا ثلاث . واشتد بهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يسألونه أن ينزلهم على الجلاء . وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصالحهم على النّصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك فهو ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله [1] .

(١) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي، مصباح اللغة، معجم البلدان للحموي، بحار الأنوار للمجلسي ، ج٢٩، ص٦٧ .

## فدك في- التّفسير- تفسير القرآن الكريم:

قال ابن كثير: قال الحافظ أبو بكر البزاز حدّثنا عباد بن يعقوب . . . عن أبي سعيد قال: لما نزلت **(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)** دعا رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكا [١] .

وقال السّيوطي: أخرج البزار . . . عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية **(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)** دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدكا .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لما نزلت **(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)** أقطع الرسول ﷺ فاطمة فدكًا [٢] .

وقال الشيخ الطبرسي: قيل: أنَّ المراد قرابة الرسول في تفسير الآية **(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)** عن السدي: قال: أنَّ علي بن الحسين قال لرجل من أهل الشام حيث بعث به عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية عليهما اللعنة: أقرأت القرآن؟ قال: نعم قال: أما قرأت **(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)**؟ قال: وأنكم ذو القربى الذين أمر الله أن يؤتى حقه؟ قال: نعم وهو الذي رواه أصحابنا عن الصّادقين وأخبرنا السيد مهدي بن نزار الحسيني - عن أبي سعيد الخدري لما نزلت **(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)** أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فدكا .

قال عبد الرحمن بن صالح: كتب المأمون إلى عبيد الله بن موسى يسأله عن قصّة فدك، فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث، فردّ المأمون فدكا على ولد فاطمة [٣] ورد العياشي حديث عبد الرحمن بن صالح إلى آخر [٤] [٥].

## كيف صارت فدك خالصة لرسول الله ﷺ:

لَمَّا قال تعالى: **(وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)** [٦] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير : ٣/ ٣٩ .

(٢) الدر المنثور . السيوطي / ٥ / ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٣) مجمع البيان/ ج٦، ص٢٤٣ .

(٤) تفسر العياشي/ ج٥١ ، ص٢٨٧ .

(٥) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي/ ج٢٩ ، ص٣٤ ؛ تفسير فرات الكوفي/ ج١/ ص٨٥ .

(٦) سورة الحشر/ الآية : ٧ .

أفاء الله، أي ردّ الله ما كان للمشركين على رسوله بتمليك الله إياه منهم أي من اليهود الذي أجلاهم **(فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ)** أوجف خيله أي أزعجه في السَّير . والرّكاب هنا - الإبل والمعنى ما استوليتم على تلك الأحوال بخيولكم أي ما ركبتم خيولكم وابلكم لأجل الاستيلاء عليها **(وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ)** .

أي يمكّن الله-تعالى- رسله من عدوّهم من غير قتال . بأن يقذف الرّعب في قلوبهم فجعل الله أموال بني النَّضير لرسوله خالصة يفعل بها ما يشاء . وليست من قبيل الغنائم التي توزّع على المقاتلين . **(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى)** . أي من أموال كفّار أهل القرى فلله وللرسول، أي جعل الله تلك الأموال ملكا لرسول الله ولذي القربى يعني قرابة النَّبي واليتامى والمساكين وابن السبيل من القربى .

روى الطبرسي عن ابن عباس قال: نزل قوله **(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى)** في أموال الكفّار أهل القرى وهم قريظة وبني النَّضير وهما بالمدينة، وفدك وهي في المدينة على ثلاثة أميال، وخيبر، وقرى عرينة، وينبع، جعلها الله-تعالى- لرسوله ﷺ يحكم فيها ما أراد، وأخبر أنَّها كلّها له. فقال أناس: فهلا قسَّمها؟ فنزلت الآية فهي مثلما ذكرنا لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فكانت خالصة لرسول الله ﷺ [١] .

## هل دفع الرسول ﷺ فدك إلى ابنته فاطمة الزّهراء عليها السلام:

إذن فالمستفاد من مجموع الآيات والرّوايات أنَّ فدك كانت لرسول الله ﷺ. وأنَّ النبي ﷺ أعطى فاطمة فدكًا بعنوان النّحلة والعطيّة بأمر الله -تعالى- حين أمره بقوله **(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)** [٢] .

هل كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تتصرّف في فدك في حياة أبيها الرسول ﷺ أم لا:

يستفاد من تصريحات المؤرّخين والمحدّثين أنَّ السّيّدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام كانت تتصرّف في فدك . وأنَّ فدك كانت في يدها . ومنها تصريح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب الذي أرسله إلى عثمان بن حنيف وهو عامله على البصرة فإنَّه ذكر فيه . . . ( بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّته السَّماء فتحث عليها نفوس قوم وسخنت عليها نفوس قوم آخرين . ونعم الحكم الله . . . الخ ) [٣].

---

(١) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد ، السيد محمد كاظم القزويني / ص٢٢٣ ؛ بحار الأنوار / ج٢٩ / ص٣٣ ؛ عيون أخبار الرضا الصدوق / ج١ / ص٢١١ .

(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد ، للسيد محمد كاظم القزويني / ص٢٢٤ .

(٣) المصدر نفسه .

## هل يورّث رسول الله ﷺ أم لا:

ما إن عرجت روح الرَّسول الأكرم ﷺ إلى بارئها واستولت السّلطة المنبثقة من مؤتمر السَّقيفة على زمام الأمور حتى بادرت إلى مصادرة هذه الأرض بحجَّة أنَّ الله –تعالى– أفاءها على رسوله خاصّة وهو ﷺ قد مات . وأنَّ معاشر الأنبياء لا يرثون [١] ولا أدري أين وضعوا قوله تعالى: **(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ)**[٢] وهو ما احتجّت به السّيّدة الصّدّيقة عليها السلام عليهم [٣] .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: عن أبي جعفر عليه السلام أنَّ أبا بكر قال لفاطمة عليها السلام النبي ﷺ لا يورث قالت: قد **(وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ)**، وقال زكريا: **(فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ)** [٤] فنحن أقرب إلى النبي من زكريا إلى يعقوب .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام: انطلقي فاطلبي ميراثك من أبيك رسول الله ﷺ . فجاءت إلى أبي بكر فقالت: أعطني ميراثي من أبي رسول الله ﷺ قال: النبي ﷺ لا يورث فقالت: ألم يرث سليمان داود؟! فغضب وقال: النبي لا يورث . فقالت عليها السلام: ألم يقل زكريا: **(فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ)**؟ فقال: النبي لا يورث فقالت عليها السلام: ألم يقل: **(يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)** [٥] ؟ فقال: النبي لا يورث [٦] .

## فدك للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من ثلاثة وجوه:

### الوجه الأوَّل:

أنَّها كانت ذات اليد، أي كانت متصرّفة في فدك فلا يجوز انتزاع فدك من يدها إلا بالدليل والبيّنة كما قال رسول الله ﷺ (البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر) وما كان على السَّيّدة فاطمة عليها السلام أن تقيم البيّنة لأنَّها ذات اليد .

---

(١) أنه الحديث المزعوم قد انفرد به أبو بكر وأنَّ جميع الأدلّة النقلية عن النبي ﷺ تخالفه كما هو مبين في محله فراجع مثلا (رسالة حول حديث: نحن معاشر الأنبياء ) للشيخ المفيد فهو حديث مزعوم .

(٢) سورة النمل / ١٦ .

(٣) كتاب السقيفة وفدك ، أبي بكر الجوهري ، ص١٦٨ .

(٤) سورة مريم/ الآيتان ٥ – ٦ .

(٥) سورة النساء/ الآية ١١ .

(٦) بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٢٩ / ص٧٠ .

## الوجه الثَّاني:

أنَّها كانت تملك فدك بالنّحلة والعطيّة والهبة من أبيها رسول الله ﷺ .

## الوجه الثَّالث:

أنَّها كانت تستحق فدك بالإرث من أبيها الرسولﷺ ولكن القوم خالفوا هذه الوجوه الثلاثة فقد طالبوها بالبيّنة وطالبوها بالشّهود على النّحلة . وانكروا وراثة الأنبياء [1] .

## السّر في مطالبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بفدك:

من الممكن أن يقال: أنَّ السَّيّدة فاطمة الزّهراءعليها السلام الزَّاهدة عن الدّنيا وزخارفها والتي كانت بمعزل عن الدّنيا ومغريات الحياة ما الذي دعاها إلى هذه النَّهضة وإلى هذا السَّعي المتواصل والجهود المستمرّة في طلب حقوقها؟

وما سبب هذا الإصرار والمتابعة بطلب فدك والاهتمام بتلك الأراضي والنَّخيل مع ما كانت تتمتَّع به السّيّدة فاطمة من علو النَّفس وسمو المقام؟

وما الدّاعي إلى طلب الدّنيا التي كانت أزهد عندهم من عفطة عنز، وأحقر من عظم خنزير في فم مجذوم . وأهون من جناح بعوضة ؟

وما الدّافع بسيِّدة النِّساء أن تتكلَّف هذا التَّكليف وتتجشَّم هذه الصّعوبات المجهدة للمطالبة بأراضيها وهي تعلم أنَّ مساعيها تبوء بالفشل، وأنَّها لا تستطيع التَّغلّب على الموقف، ولا تتمكَّن من انتزاع الأراضي من المغتصبين؟

هذه التَّصوّرات يمكن أن تتبادر إلى الأذهان حول الموضوع:

**أوّلاً:** إنَّ السّلطة حينما صادرت أموال السَّيّدة فاطمة الزّهراءعليها السلام وجعلتها في ميزانية الدّولة (بالاصطلاح الحديث) كان هدفهم:

أ- تضعيف جانب أهل البيتعليهم السلام .

ب- أرادوا أن يحاربوا عليًّا محاربة اقتصادية .

ج- أرادوا أن يكون علي فقيرًا حتى لا يلتف الناس حوله .

د- أن لا يكون لعلي عليه السلام شأنٌ على الصّعيد الاقتصادي .

(١) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني/ ص٢٢٤-٢٢٥ .

وهذه سياسة أراد المنافقون تنفيذها في حقِّ رسول الله ﷺ حين قالوا: (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا من حوله )[١] .

**ثانيًا:** لم تكن أراضي فدك قليلة الإنتاج – ضئيلة الغلات بل كان لها وارد كثير يعبأ به . بل ذكر ابن أبي الحديد أنَّ نخيلها كان مثل نخيل الكوفة في زمان ابن أبي الحديد .

وذكر الشَّيخ المجلسي في كشف المحجة أنَّ وارد فدك كان أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة. وفي رواية أخرى سبعين ألف دينار، ولعلّ هذا الاختلاف في واردها حسب اختلاف السنين، وعلى كلّ تقدير فهذه ثروة طائلة واسعة . لا يصحّ التّغاضي عنها .

**ثالثًا:** إنَّها كانت تُطالب (من وراء المطالبة بفدك) الخلافة والسّلطة لزوجها علي بن أبي طالب ﷺ تلك السلطة العامة والولاية الكبرى التي كانت لأبيها رسول الله ﷺ .

فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه قال: سألت علي بن الفارقي: مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة ؟ قال: نعم قلت: فلِمَ لَم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم، ثم قال كلامًا لطيفًا مستحسنًا مع ناموسه وحرمته وقلَّة دعابته قال: لو أعطاها اليوم فدك، بمجرد دعواها لجاءت إليه غدًا وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار، والموافقة بشيء لأنَّه يكون قد أسجل على نفسه بأنَّها صادقة فيما تدّعي، كائنًا ما كان من غير حاجة إلى بيّنة وشهود .

**رابعًا:** الحق يطلب ولا يعطى، فلابدّ للإنسان المغصوب منه ماله أن يطالب بحقه، لأنَّه حقه حتى وإن كان زاهدًا فيه، وذلك لا ينافي الزّهد وترك الدنيا ولا ينبغي السّكوت عن الحق .

**خامسًا:** إنَّ الإنسان وإن كان زاهدًا في الدّنيا، راغبًا في الآخرة، فإنَّه مع ذلك يحتاج إلى المال ليصلح به شأنه. ويحفظ به ماء وجهه، ويصل به رحمه، ويصرفه في سبيل الله كما تقتضيه الحكمة[٢] .

أما ترى رسول الله ﷺ وهو أزهد الزّهّاد كيف انتفع بأموال خديجة في سبيل تقوية الإسلام .

---

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني/ ص٢٣٢ .

(٢) المصدر نفسه .

**سادسًا**: قد تقتضي الحكمة أن يطالب الإنسان بحقّه المغصوب فإنَّ الأمر لا يخلو من أحد الوجهين:

أ- أن يفوز الإنسان ويظفر بما يريد وهو المطلوب، وبه يتحقّق هدفه من المطالبة .

ب- وإما أن لا يفوز في مطالبته فلن يظفر بالمال، فهو حينذاك قد أبدى ظلامته، وأعلن للناس أنَّه مظلوم، وأنَّ أمواله غصبت منه .

هذا وخاصة إذا كان الغاصب ممّن يدَّعي الصَّلاح والفلاح، ويتظاهر بالدّيانة والتَّقوى، فإنَّ المظلوم يعرفه للأجيال أنَّه غير صادق فيما يدَّعي.

**سابعًا**: إنَّ حملة المبادئ يتشبّثون بشتّى الوسائل الصّحيحة لجلب القلوب إليهم فهناك من يجلب القلوب بالمال أو بالأخلاق أو بالوعود وأشباه ذلك .

ولكن أفضل الوسائل لجلب القلوب (قلوب كافة الطبقات) هو التّظلّم وإظهار المظلومية فإنَّ القلوب تعطف على المظلوم كائنًا من كان، وتشمئز من الظَّالم كائنا من كان .

هذه خطّة ناجحة لتحقيق أهداف حَمَلة المبادئ، الذين يريدون إيجاد الوعي في النُّفوس عن طريق جلب القلوب إليهم [١].

## عِلَّة عدم استرجاع فدك:

عندما تولّى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أمور الناس . . . حدّثنا أحمد بن الحسن القطان، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: سألته عن أمير المؤمنين ﷺ لِمَ لَمْ يسترجع فدك لما ولي أمر الناس؟ فقال: لأنّا أهل بيت إذا ولينا الله عز وجل لا يأخذ لنا حقوقنا ممّن ظلمنا إلا هو، ونحن أولياء المؤمنين إنَّما نحكم لهم ونأخذ لهم حقوقهم ممّن يظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا [٢] .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: قلت له لِمَ لَمْ يأخذ أمير المؤمنين ﷺ فدك لما ولي الناس؟ ولأي علّة تركها؟ فقال: لأنَّ الظَّالم والمظلوم كانا قدما على الله (عز وجل) وأثاب الله المظلوم وعاقب الظالم، فكرة أن يسترجع شيئًا قد عاقب الله عليه غاصبه وأثاب عليه المغصوب [٣] .

وعن إبراهيم الكرخي قال: سألت أبا عبد الله ﷺ فقلت له: لأيّ عِلَّة ترك علي بن أبي طالب فدك لما ولي الناس؟ فقال: للاقتداء برسول الله ﷺ لما فتح مكة، وقد باع عقيل بن أبي طالب داره فقيل له: يا رسول الله ألا ترجع إلى دارك؟

(١) فاطمة الزهراء ﷺ من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، ص٢٣٣ .

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ، الصّدوق، ج٢ ، ٩٢ .

(٣) علل الشرائع، الصدوق، ج١، ص١٥٤-١٥٥.

فقال ﷺ: وهل ترك عقيل لنا دارًا ؟ إنّا أهل بيت لا نسترجع شيئًا يؤخذ منّا ظلما. فلذلك لم يسترجع فدك لمّا ولي [١] .

## من هو أوّل من ردّ فدك إلى آل البيت عليهم السلام:

روي أنَّ عمر بن عبد العزيز لما استخلف، قال: أيّها الناس، إنِّي قد رددت عليكم مظالمكم وأوّل ما أرد منها ما كان في يدي، وقد رددت فدك على ولد رسول الله ﷺ وولد علي بن أبي طالب عليهما السلام فكان أوّل من ردها .

وروي أنّه ردّها بغلائها منذ ولي، فقيل له: نقمت على أبي بكر وعمر فعلهما وطعنت عليهما، ونسبتهما إلى الظّلم والغصب، وقد اجتمع عنده في ذلك قريش ومشايخ أهل الشام من علماء السّوء .

فقال عمر بن عبد العزيز: قد صحّ عندي وعندكم أنَّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ ادعت فدك وكانت في يدها، وما كانت لتكذب على رسول الله ﷺ مع شهادة علي وأمّ أيمن وأمّ سلمة، وفاطمة عندي صادقة فيما تدّعي وإن لم تقم البيّنة، وهي سيّدة نساء أهل الجنة، فأنا اليوم أردها على ورثتها اتقرّب بذلك إلى رسول الله ﷺ وأرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام يشفعون لي يوم القيامة. ولو كنت بدل أبي بكر وادعت فاطمة كنت أصدقها على دعواها، فسلّمها إلى محمد بن علي الباقر عليه السلام فلم تزل في أيديهم إلى أن مات عمر بن عبد العزيز [٢] .

وروي أنَّه لما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ردّ عليهم سهام الخمس: سهم رسول الله ﷺ وسهم ذي القربى وهما من أربعة أسهم، رد على جميع بني هاشم، وسلّم ذلك إلى محمد بن علي وعبد الله بن الحسن، واستغنى بنو هاشم في تلك السّنين وحسنت أحوالهم .

وردّ عليهم المأمون والمعتصم والواثق، وقالا: كان المأمون أعلم منّا به، فنحن نمضي على ما مضى هو عليه، فلمّا ولي المتوكّل قبضها . . . وردّها المعتضد، وحازها المكتفي، وقيل: إنَّ المقتدر ردّها عليهم [٣] .

يعتبر الحديث عن أهل البيت عليهم السلام والتعريف بهم أمرًا ضروريًّا؛ لأنَّ ذلك من أجلى مصاديق قوله تعالى: ( **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** )[٤] فكيف يود الإنسان أشخاصًا لا يعرف عنهم شيئًا، ولا يتم ذلك إلا من خلال التّعرّف على تاريخهم الحافل بكل أنواع المآسي والأحوال التي طرأت عليهم، والظّلامات التي تعرضوا لها حتى اشتهر على لسان صادقهم بأنَّ كرامتهم من الله الشهادة .

إنَّ المحنة والمعاناة التي عاشتها الصِّدّيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها ﷺ جاءت نتيجة الموقف الدِّيني والوظيفة

(١) علل الشرائع، الصدوق/ ج١، ص١٥٤-١٥٥ .

(٢) البحار ، المجلسي/ ج٢٩ ، ص٧١ ، ٧٣ ؛ كشف الغمة ، ج١ ، ص٤٩٤ ؛ الشافي في الإمام / ج٤ ، ص١٠٢ .

(٣) البحار ، المجلسي/ ج٢٩ ، ص٧٢ .

(٤) سورة الشورى/ الآية:٢٣.

الشَّرعيّة الإسلامية التي تحمّلتها ﷺ حينما رأت ما رأت في تنكّر وخذلان وانقلاب على أهل بيت العصمة -صلوات الله عليهم-، فقامت ﷺ بما قامت وهي تريد إرجاع نصاب الحق إلى أهله لتعود الأمّة إلى رشدها السَّوي يرعاهم إمامهم الحق الذي نصّبه رسول الله ﷺ لهم يوم غدير خم وقال في حقّه ﷺ (من كنت مولاه فعلي مولاه) فأخذت ﷺ تذكّرهم بما تناسوه وتركوه وراء ظهورهم محتجّة عليهم فلم تجد ﷺ آذانًا صاغية في ذلك وهم مصرّون على أخذ نحلتها من رسول الله ﷺ وإنكار ميراثها من رسول الله ﷺ فتقاعدوا عنها وقابلوها بالتَّنكر والخذلان .

وبالطبع فإنَّ أهداف الصِّدّيقة الزَّهراء -سلام الله عليها- التي أرادت إثباتها في خطبتها المشهورة هي:

١- أصول الدِّين ٢- أحكام الإسلام ٣- أخلاق وآداب الإسلام .

فلذلك علينا أن نجتهد في نشر هذه الأمور الثلاثة في العالم.

# سيدة عش آل محمد صلى الله عليه وآله

السيد أبو الحسن هاشم

## لماذا (عش آل محمد)؟

قبل أن نشرع في هذه الرِّحلة المهمَّة والقصيرة ..، فهي مهمَّة لأنَّها عن حياة إحدى بنات الوحي والإمامة ..

وهي قصيرة لأنّ التاريخ بخل علينا فظلمها فلم يذكر عنها إلاّ النزر اليسير، كما هو ديدنه مع سائر أهل ذلك البيت الطّاهر.

قبل ذلك كلّه نطرح هذا السّؤال: لماذا سمّيت (قم) بـ (عش آل محمد)؟

الجواب: العش في اللغة هو المكان الذي تصنعه الطّيور، فتضع فيه بيضها ليفقس عن أفراخ صغار، تظل ترعاهم وتزقّهم الطّعام حتى يكبروا، وعندها تستطيع الأفراخ الطيران والتّحليق في الجو.

كذلك (قم) بالنسبة لـ (آل محمد) فهي المكان الذي كان ولا يزال يحتضن شيعة أهل البيت ويزقّهم العلم، فيتربون فيها على تعاليم أهل البيت عليهم السلام، فيبثّون ما تعلّموه من علوم آل محمد، وينشرونها، ولذلك تخرج من مدينة (قم) الكثير من العلماء والمحدّثين، فكانت (قم) عشّاً ومأوى لهذه البذور الطّيّبة.

فلعلّ هذا هو وجه تسميتها بـ (عش آل محمد).

وكانت السَّيّدة الطّاهرة فاطمة المعصومة عليها السلام سيّدة هذا العش وراعيته والقائمة عليه والمأوى والملاذ فيه.

## ألقابها:

للسيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام ألقاب عدّة، منها:

(أ) المعصومة:

وهي أكثر ما تعرف به، وقد نقل عن الإمام الرِّضا عليه السلام أنّه قال: « من زار المعصومة بقم – كان – كمن زارني »[1]

(ب) كريمة أهل البيت عليهم السلام:

ويكفي في كرمها احتضانها لحوزة التَّشيّع في العصر الأخير، بل منذ العصور الغابرة، إذ كانت قم بلد التَّشيّع، ومركز حفظة أحاديث وعلوم أهل البيت عليهم السلام، حتى أنّه دفن في جوارها مائة ألف محدِّث كما هو المعروف.

فببركة التَّمسّك بحبل ولائهم عليهم السلام أفاضوا على قم وأهلها ما أفاضوا، وذلك عبر سليلتهم الكريمة، فاطمة المعصومة عليها السلام.

(ج) أخت الرِّضا عليه السلام:

فهي كانت عليها السلام أخت الرضا حقيقة.

## معاناتها

(أ) فقد أبيها

سنة ١٨٣ هجرية في شهر رجب في اليوم الخامس والعشرين[2]

المنادي ينادي: هذا إمام الرَّافضة فاعرفوه، ونادى جماعة آخرون من أتباع الظّلمة بنداء تقشعرّ منه النّفوس الطّيّبة.

وعندما رأى سليمان بن أبي جعفر ذلك، خرج من قصره، وأمر غلمانه بأخذ نعش الإمام عليه السلام من أيدي الجلاوزة، فاشتبكوا معهم في عراك وضرب، ثم أخذوا النَّعش الشَّريف من أيديهم، ووضعوه على مفترق أربع طرق، أمر سليمان المنادي بأن ينادي: ألا ومن أراد أن يرى الطَّيّب بن الطَّيّب موسى بن جعفر عليه السلام فليخرج ...

ودفن الإمام عليه السلام في مقابر قريش حيث مرقده الآن في بغداد.

وهكذا انطوت حياة ذلك الإمام العظيم بعد أن عانى ما عانى من ظلم واضطهاد، ونقل من سجن إلى سجن، ومن

(١) عيون أخبار الرضا/ ج١ ص١٣..

(٢) مصباح المتهجد/ ص ٨١٢. وقيل في اليوم الخامس من رجب، وقيل في اليوم السادس منه. في بغداد، على الجسر وضعت جنازة الإمام الكاظم عليه السلام بعد أن دسّ له سجّانه السندي بن شاهك السم في طعامه بأمر من هارون العباسي.

سجّان إلى آخر حتى قبضه الله -تعالى- إليه[١]

وكان ذلك أوّل ما كابدته وعانته السَّيّدة المعصومة في مقتبل حياتها، فقد حرمت عطف ورعاية أبيها وهي بعد في سنّ السّادسة إذ أخرجه هارون من المدينة إلى بغداد وسجنه، وفي سنٍّ العاشرة صارت (سلام الله عليها) يتيمة الأب[٢]

## (ب) الجلودي يرعب ودائع آل محمد ﷺ

سنة ١٩٩ هجرية، في المدينة المنوّرة.

بعض العلويين يعلنون الخروج على حكم بني العباس في المدينة، وفي مكة، وفي اليمن.

وكان محمد بن جعفر قد خرج عليهم في مكّة أيّام حكومة المأمون، فأرسل إليه المأمون جيشاً للقضاء عليه بقيادة الجلودي، وأمره بضرب عنقه إن ظفر به.

ولم يقف أمر المأمون عند هذا الحد، بل أوعز إليه يغير ويهجم على دور آل أبي طالب في المدينة، ويسلب ما على نسائهم من ثياب وحلل، ولا يدع على واحدة منهنّ إلاّ ثوباً واحداً.

وحاول الجلودي أن ينفّذ الأمر بنفسه، فهجم على دار الإمام الرضا ﷺ بخيله، فلمّا نظر إليه الإمام جعل النساء كلّهنّ في بيتٍ واحدٍ، وكانت السَّيّدة المعصومة ﷺ إحداهنَّ. ووقف الإمام على باب البيت يمنع الجلودي وجنده من اقتحامه.

فقال الجلودي: لا بد من أن أدخل البيت فأسلبهنّ كما أمرني أمير المؤمنين.

فقال ﷺ: « أنا أسلبهنّ لك، وأحلف أن لا أدع عليهنّ شيئاً إلاّ أخذته ».

وعلى نفس نهج أسياده العبَّاسيّين ظلّ الجلودي مصرّاً على سلب عقائل آل بيت النبي ﷺ، فقد آثر الجلودي أن يكون ناصبيّاً من القَرن الأوّل الهجري يعيش على مشارف القرن الثّالث، يحمل حقد وكراهية وحسد أولئك الذين هاجموا بيت الوحي والرّسالة، واقتحموا على السّيّدة الزّهراء ﷺ دارها، وأسقطوا جنينها، وصنعوا مع ابنة صاحب الوحي ما تقشعرّ منه الأبدان، ويندى له جبين التأريخ[٣].

---

(١) راجع عيون أخبار الرضا: ج١ ص ٩٩، والإرشاد ج٢ ص ٢٤٢..

(٢) وهذا بناء على أنّ ولادتها كان في سنة ١٧٣ هـ..

(٣) راجع إثبات الوصية: ص ١٢٤، وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص ١٢٦، والإمامة والسياسة: ص ٣٠ و٣١، كما وتراجع المصادر التالية: لسان الميزان، الملل والنحل، أنساب الأشراف، العقد الفريد، أعلام النساء، الوافي بالوفيّات، تاريخ أبو الفداء..

بهذه النّفسيّة الحاقدة، وبهذه الرّوح الشّرّيرة هاجم الجلودي دار الإمام ﷺ، فحقده على أهل البيت كان الهواء الذي يتنفّسه، ويحفظ عليه حياته ومقامه عند أسياده العبّاسيّين.

ولكنّ الإمام ﷺ يمنعه من اقتحام البيت، وليس الجلودي - وأشباهُهُ - جديراً ليستجيب للعواطف والتّوسّلات، أو ليخضع للمنطق والبرهان، فهو ممّن ملئت قلوبهم بغضاً وحنقاً وحسداً لأهل بيت النبوة، ولا يعرفون إلاّ لغة السّلاح ومنطق القوة والظُّلم والاضطهاد.

فلم يزل الإمام يطلب إليه ويحلف له، حتى سكن الجلودي ووافق على طلب الإمام.

فدخل الإمام فلم يدع عليهنَّ شيئاً إلاّ أخذه منهنَّ حتى أقراطهنَّ وخلاخيلهنَّ وأُزرهنَّ، وجميع ما كان في الدّار من قليل وكثير.

ويظهر أنّ هذه الحادثة هي من مسلسل ضغوط المأمون لإرغام الإمام ﷺ وإخراجه من المدينة إلى خراسان حيث يكون تحت منظار المأمون ورقابته، إذ أنّ الحادثة كانت بعد سنة من تولّي المأمون للحكم، فقد خلص الأمر له سنة ١٩٨هـ، وتوصّل تفكيره الشَّيطاني إلى القضاء على الإمام ﷺ وتشويه سمعته بجلبه إلى خراسان، وتسليمه الخلافة أو ولاية العهد، وللضغط عليه لاستقدامه أنفذ إلى الجلودي بالإغارة على دار الإمام، وسلب عقائل آل محمد ﷺ وإرعابهنّ.

ولمّا رحل الإمام إلى خراسان وأُدخل على المأمون قام فرحّب به وأظهر المحبّة والإخلاص له، وعرض عليه الخلافة فأبى الإمام ﷺ، فعرض عليه ولاية العهد، فقبلها الإمام مرغماً بعد تهديد المأمون له[1]، عندها أمر المأمون القوّاد والحجّاب والقضاة وسائر الطبقات بمبايعة الإمام ﷺ بولاية العهد، ولكن بعض قادة المأمون نقموا البيعة ولم يرضوا بها، فاعتقلهم المأمون، ثم أمر بإدخالهم عليه منفردين.

وكان الجلودي أحدهم، فلمّا أُدخل على المأمون ووقع نظر الإمام عليه قال ﷺ للمأمون: « هب لي هذا الشيخ »!!

فقال المأمون: يا سيدي! هذا الذي فعل ببنات محمد ﷺ ما فعل من سلبهنَّ!!

فنظر الجلودي إلى الإمام ﷺ وهو يكلّم المأمون ويسأله أن يعفو عنه ويهبه له، فظنّ أنّ الإمام يعين عليه لمّا كان قد فعله من اقتحامه دار الإمام وإرعابه أهل بيته.

---

(١) راجع تفصيل مسألة ولاية العهد في كل مما يلي: أصول الكافي/ ج١/ ص٤٨٨، الحديث السابع. عيون أخبار الرضا/ ج٢ / ص ١٣٨. الإرشاد/ ج٢ / ص٢٥٩..

فقال الجلودي: يا أمير المؤمنين! أسألك بالله وبخدمتي للرشيد أن لا تقبل قول هذا فيّ!!

فقال المأمون: يا أبا الحسن! قد استعفى، ونحن نبر قسمه.

ثم قال: لا والله لا أقبل فيك قوله، ألحقوه بصاحبيه. فقدم فضربت عنقه.

كانت هذه صورة من صور المحن والآلام التي عاشتها سيدتنا ومولاتنا المعصومة عليها السلام.

ويكفيك أن تتخيل وتتصوّر أجنبيّاً يروم دخول دارك، فيكشف عرضك ليسلب أمّك أو زوجتك أو أختك. فما هو حالك إذا علمت أنّ المراد سلبهنّ هنّ بنات أهل بيت العصمة والطَّهارة؟

يكفيك تصوّر ذلك حتى تعلم عظم الحادثة وفجاعتها.

## (ج) السيدة تعايش ترحيل أخيها

سنة ٢٠١ هـ، في يوم ١٠ جمادى الآخرة

مدينة مرو

الإمام الرِّضا عليه السلام وأخوه إسماعيل، وعمّه محمد بن جعفر، وعلي بن الحسن بن زيد، وابن الأرقط، ومجموعة ممّن كان قد خرج على المأمون، يقدم بهم رجاء بن الضَّحّاك على مرو، ويدخلهم على المأمون لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة إحدى ومائتين، فقد أمر المأمون بإشخاصهم وإشخاص من كان قام عليه من الطَّالبيّين، فحملهم الجلودي وأخذ بهم على طريق البصرة – الأهواز[١] في المفاوز والبراري لا في العمران، لئلا يراه الناس فيرغبوا فيه، فما من منزل من منازل إلاّ وله فيه معجزة[٢]

وصاروا إلى فارس حيث لقيهم رجاء بن الضّحاك وتسلّمهم من الجلوديّ[٣]

وبذلك يكون الإمام قد فارق مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان عليه السلام قبل إخراجه قد دخل المسجد النّبوي الشّريف ليودّع جدّه، فودّعه مراراً، كل ذلك (وهو) يرجع إلى القبر، ويعلو صوته بالبكاء والنَّحيب. فتقدّم إليه مخول السّجستاني وسلّم عليه، فردّ السلام.

---

(١) شرح الأخبار/ ج٣/ ص ٣٣٩.

(٢) العوالم/ ج ٢٢/ ص ٢٢٩ .

(٣) شرح الأخبار/ ج٣ / ص ٣٣٩..

وقال عليه السلام: « زرني، فإنّي أخرج من جوار جدي صلى الله عليه وآله فأموت في غربة »[١]

كل هذا في منظر ومسمع من السّيّدة المعصومة وإخوتها وأخواتها إذ أنّ الإمام -عليه السلام- حينما أرادوا الخروج به من المدينة جمع عياله، وأمرهم بالبكاء عليه، ثم فرّق فيهم اثني عشر ألف دينار.

ثم قال: « أمّا إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً »[٢]

وهكذا أُخرِج الإمام عليه السلام من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله، أمام أخته المصونة وسائر عياله، وعيونهم عبرى، وقلوبهم مملوءة بالحزن والأسى.

## هجرتها

وتمضي الأيَّام والأيَّام على مفارقة السّيّدة المعصومة لأخيها الإمام الرضا عليه السلام، فتتسلّم منه كتاباً يأمرها أن تلحق به، فقد كانت أثيرة عنده، وعزيزة عليه، ولمّا انتهى الكتاب إليها تجهّزت للسفر إليه[٣]

وليست الهجرة مسألة جديدة في حياة أهل البيت عليهم السلام وأولادهم ومواليهم، فقد سعى العبَّاسيّون ومن قبلهم الأمويون لتشتيتهم في البلدان وإبادتهم، حتى أنّ أبا الفرج الأصفهاني كتب كتابه (مقاتل الطّالبيين) لبيان ذلك، وكتب المسعودي أيضاً كتابه (حدائق الأذهان في أخبار أهل بيت النّبي وتفرّقهم في البلدان).

وحتى قال دعبل الخزاعي:

لا أضحك الله سنَّ الدهر إن ضحكت ... وآل أحمد مظلمون قد قهروا

مشرّدون نفوا عن عقر دارهم ... كأنَّهم قد جنوا ما ليس يغتفر

يخرج ركب السيدة المعصومة مع بعض إخوتها ..

ويخرج بعض آخر من إخوتها في ركب ثانٍ باتجاه طوس ..

---

(١) عيون الأخبار/ ج٢/ ص ٢١٧ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام/ ج٢/ ص ٢١٧ .

(٣) ترجمة تاريخ قم ص ٢١٣، وحياة الإمام الرضا عليه السلام/ ج ٢ / ص ٣٥١ .

ركبان عظيمان يتّجهان نحو طوس للقاء إمامهم ﷺ:

أحدهما يتّجه إليها عن طريق الرّي وساوة ..

والآخر يتّجه إليها عن طريق شيراز.

فالإمام الرضا ﷺ قد استأذن المأمون في قدومهم عليه[١]

## ركب السّيّدة ﷺ يُحاصر في (ساوة)

كانت هذه القافلة تضم اثنين وعشرين علويّاً، وعلى رأسها السَّيّدة فاطمة المعصومة ﷺ وإخوتها: هارون[٢]، وفضل، وجعفر، وهادي[٣]

فأرسل المأمون شرطته إلى هذه القافلة أيضاً، فقتل، وشرّد كلّ من فيها، وجرحوا هارون المذكور، ثم هجموا عليه وهو يتناول الطّعام فقتلوه[٤]

وكان ذلك نهاية أليمة ومفجعة لهذا الرَّكب من بني هاشم، فقدت فيها السّيّدة المعصومة ﷺ سائر إخوتها، فشابهت مصيبتها بفقدهم مصيبة عمّتها زينب ﷺ في كربلاء.

وخارت قواها وضعفت، فسألت من حولها:

- كم بيننا وبين قم؟

قالوا: عشرة فراسخ.

فقالت: احملوني إليها[٥]

## (قم) تستقبل السّيّدة المعصومة ﷺ:

عندما وصلت ﷺ إلى (ساوة)، ومرضت فيها بعد فقد إخوتها، كان خبرها قد وصل إلى (قم)، فخرج أشرافها لاستقبالها، يتقدّمهم موسى بن خزرج الأشعري، فلمّا وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وقادها إلى منزله[٦]، تحفّ بها إماؤها وجواريها.

---

(١) ليالي بيشاور/ ص ١١٥..

(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا ﷺ: ص ٤٢٨.

(٣) لم يذكر أحد أنّ للإمام ولداً باسم هادي ولعلّه هارون وصحف.، وقاسم، وبعض من أولاد إخوتها، وبعض الخدم.

(٤) الحياة السياسية للإمام الرضا ﷺ: ص ٤٢٨.

(٥) ترجمة تاريخ قم/ ص ٢١٥، وعنه في البحار/ ج٦٠/ ص ٢١٦، ومستدرك الوسائل/ ج١٠/ ص ٣٦٨.

(٦) ترجمة تاريخ قم/ ص ٢١٣.

## السّيّدة المعصومة تُفارق الحياة:

بقيت عليها السلام في دار موسى الأشعري سبعة عشر يوماً، فما لبثت إلاّ هذه الأيّام القليلة وتوفّيت[١]

ولا يبعد أن يكون سبب وفاتها أنّها قد دُسّ السُّمّ إليها في (ساوة)[٢]

وأمر موسى بن خزرج بتغسيلها وتكفينها، وحملوها إلى مقبرة (بابلان) ووضعوها على سردابٍ حُفر لها، فاختلفوا في من ينزلها إلى السّرداب.

ثم اتفقوا على خادم لهم صالح كبير السّن يقال له (قادر) فلمّا بعثوا إليه رأوا راكِبَيْنِ مقبِلَيْنِ من جانب الرّملة وعليهما لثام، فلمّا قربا من الجنازة نزلا السّرداب وأنزلا الجنازة، ودفناها فيه، ثم خرجا ولم يكلّما أحداً، وركبا وذهبا ولم يدر أحد من هما[٣]

ونقل أنّها -سلام الله عليها- توفّيت في الثّاني عشر من ربيع الثاني عام ٢٠١ هـ[٤]

ولكن هذا لا ينسجم مع ما نقله صاحب دعائم الإسلام في كتابه (شرح الأخبار) من أنّ الإمام الرضا عليه السلام أدخل على المأمون في العاشر من جمادى الآخرة سنة ٢٠١ هـ[٥]، ومن المعلوم أنّ الإمام عليه السلام أرسل في طلب أخته المعصومة عليها السلام بعد وصوله، وما نقل من تاريخ وفاتها يكون قبل وصوله عليه السلام إلى (خراسان)، وهذا معناه أنّ الإمام عليه السلام لم يطلبها، وأنّها لم تهاجر قاصدة أخاها، وهذا مما تنفيه الأخبار والتاريخ. وبناءً على ذلك يمكن أن يكون تأريخ وفاتها هو الثامن من شعبان سنة ٢٠١ هـ، كما نقله الشيخ المنصوري في (حياة الست) نقلاً عن كتاب مخطوط باسم (رياض الأنساب ومجمع الأعقاب) الذي نقله بدوره عن (الرسالة العربية العلوية) للشيخ الحرّ العاملي صاحب كتاب (وسائل الشّيعة).

وعلى كل حال فقد فارقت روح السيدة المعصومة عليها السلام الحياة بعد أن كابدت صنوف الألم والمشقَّة والعذاب فسلام عليها يوم ولدت ويوم ماتت ويوم تبعث حية.

---

(١) ترجمة تاريخ قم: ص ٢١٣..

(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام/ ص ٤٢٨.

(٣) ترجمة تاريخ قم/ ص ٢١٣ و٢١٤..

(٤) مستدرك سفينة البحار/ ج ٨ / ص ٢٥٧..

(٥) شرح الأخبار/ج٣/ ص ٣٤٠.

## المأمون يعترف ...!!

ذكرنا احتمال أن تكون وفاة السّيّدة المعصومة عليها السلام بسبب سمّ دُسّ إليها في (ساوة)، إمّا من أهلها المتعصّبين، وإمّا من أتباع وشرطة المأمون بأمرٍ منه، وكان من قبل قد قتل إخوتها في (ساوة) و (شيراز)، ثم قتل الإمام الرضا عليه السلام فيما بعد.

وللمأمون اعتراف بجناياته وظلمه لأهل البيت عليهم السلام وأولادهم ومواليهم، نسجله للتأريخ والأجيال بياناً لحقيقة المأمون.

يقول المأمون في كتاب له في الجواب عن بني هاشم:

( ... حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا، فأخفناهم، وضيّقنا عليهم، وقتلناهم أكثر من قتل بني أميّة إيّاهم.

ويحكم! إنّ بني أميّة إنّما قتلوا منهم من سلّ سيفاً، وإنّا معشر بني العباس قتلناهم جملاً.

فلتسألنّ أعظم الهاشمية بأيّ ذنبٍ قتلت؟!

ولتسألن نفوس أُلقيت في (دجلة) و (الفرات).

ونفوس دُفنت بـ (بغداد) و (الكوفة) أحياء.

هيهات إنّه من يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره، ومن يعمل مثال ذرّةٍ شرّاً يره ... )[1]

فهل كانت الغلبة لبني العبّاس والمأمون بقتلهم هذه النّفوس الزكيّة ..؟

إنّ الحقيقة تأبى إلاّ أن تسفر عن وجهها ..

فهذا قبر السَّيّدة المعصومة عليها السلام وقبر أخيها الإمام الرِّضا عليه السلام محجّة ومزار ..

... وأعداؤهم تُصب عليهم اللعائن مدى الأيّام والأعصار ..

## الجنة لمن زارها عليها السلام

ثلاثة من المعصومين عليهم السلام يبشّرون من زارها بالجنة.

١ – فهذا الإمام الصادق عليه السلام يبشّر زوّارها بالجنة قبل ولادتها.

قال عليه السلام: « إنّ لله حرماً وهو مكة، وإنّ للرسول صلى الله عليه وآله حرماً وهو المدينة، وإنّ لأمير المؤمنين عليه السلام حرماً وهو الكوفة، وإنّ لنا حرماً

(١) بحار الأنوار/ج٤٩/ ص ٢١٠.

وهو بلدة قم. وستدفن فيها امرأة من أولادي تُسمّى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنة »[١]

٢ – وعن سعد بن سعد، قال: سألت أبا الحسن الرّضا عليه السلام عن زيارة فاطمة بنت موسى عليها السلام، فقال: « من زارها فله الجنة »[٢].

٣ – وعن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال:

« من زار عمّتي بقم فله الجنة »[٣]

والسّؤال الآن: هل كل من زارها تجب له الجنة حتى لو كان فاسقاً فاجراً مخالفاً؟

يجيب الإمام الرّضا عليه السلام على ذلك فيقول:

« يا سعد! عندكم لنا قبر[٤]

قال سعد: جعلت فداك، قبر فاطمة بنت موسى عليهما السلام

قال: نعم، من زارها عارفاً بحقّها فله الجنة »[٥]

فليس كل من زارها تجب له الجنة، وإنَّما العارف بحقّها وحق آبائها وأبنائهم الطّاهرين تجب له بزيارتها الجنة. وأنّى يكون ذلك للمخالف لهم في العقيدة والعمل؟!

وقد قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

« ... والذي نفسي بيده لا ينتفع عبد بعمله إلاّ بمعرفة حقِّنا »[٦]

---

(١) كامل الزيارات/ ص ٣٢٤، وثواب الأعمال/ ص ٩٨، وعيون أخبار الرضا عليه السلام/ ج٢ / ص ٢٦٧..

(٢) المصدر نفسه .

(٣) كامل الزيارات/ ص ٣٢٤ .

(٤) أي: هل عندكم لنا قبر في قم؟ فسؤاله عليه السلام طلب للتقرير فلحن السؤال يدل على أنه ليس استفهاماً حقيقياً بل إخبار وتقرير..؟

(٥) بحار الأنوار/ ج١٠٢/ ص ٢٦٥ ح٤، ومستدرك الوسائل/ ج١٠/ ص ٣٦٨ .

(٦) المحاسن/ ج١/ ص ١٣٥ .

# ثورة المختار
## الانتصار والهزيمة

كريم الموسوي

هناك ثورات كثيرة في التاريخ وحركات رسالية وغير رسالية انتهت لأسباب قد تكون بسيطة، ومن أبرزها طيبة النَّفس الى درجة السّذاجة؛ ذلك لأنَّ هذه الثَّورات كانت تصور بأنَّ سلاح الحق والعدل والإحسان هو السَّلاح القادر على تذليل جميع الصُّعوبات في الطَّريق، وغاب عنها أنَّ هناك صعوبات لا تُذلل إلَّا عن طريق استخدام القوّة والحزم .

وكانت ثورة المختار من ضمن تلك الثَّورات التي ذهبت ضحيّة النَّفس السَّاذجة بيد أنَّ هناك أسباباً أخرى هامَّة كانت وراء فشل ثورة المختار بن أبي عبيدة الثّقفي، وقبل أن نستعرض بعض هذه الأسباب لابد أن نذكر أنَّ دراسة التاريخ إنَّما تتم من أجل الحاضر وليس من أجل التاريخ وحده، ولذلك فالسّؤال بكلمة (لماذا؟) يجب أن تتكرّر كلَّما وقفنا عند ظاهرة تاريخية لماذا فشلت ثورة التَّوّابين، وثورة المختار، وثورة زيد بن علي؟

إنَّ اكتشاف الأسباب والعوامل هو الذي يهمّنا؛ لأنَّ معرفة السَّبب هي التي تعطينا القدرة على عدم تكرار ذلك السّبب الذي أدَّى الى انهيار تلك الثَّورات . فلماذا فشلت ثورة المختار أخيراً بعد حكم دام شهوراً، وبعد أن امتدّت نفوذ المختار إلى مساحات كبيرة في ذلك الوقت؟

## الخلافات الدَّاخليَّة

لا ريب أنَّ الخلافات الدَّاخلية قديماً وحديثاً هي السَّبب الأساس لسقوط دول وحركات، وكان الخلاف بين الرّساليين في عهد المختار السّبب الأساس الذي أدّى الى سقوط دولته؛ ذلك لأنَّ جميع الرّساليين كانوا يشتركون في هدف واحد ومحدّد وهو إسقاط الدّولة الأموية والأخذ بثأر الإمام الحسين ﷺ.

فمن الموالي الى العرب، ومن النّساء والأطفال الى الرّجال والشَّباب، ومن المتديّنين إلى المتحمّسين جميعاً اشتركوا في التّحزّب للإمام الحسين ﷺ الشَّهيد والثَّأر له، ولكن هذا المفهوم كان مفهوماً غامضاً بالنسبة إلى أكثرية النَّاس، أي أنَّهم كانوا من أصحاب الإمام الحسين ﷺ ويعتقدون أنَّ مقتله كان سبباً كافياً للتّمرّد على حكم بني أميّة هذا المفهوم كان واضحاً عند الجميع، ولكن هناك مفاهيم عديدة تحتاج الى توضيح، ومن جملة تلك المفاهيم السّؤال عن أنّه: إذا ما ثرنا على الحكم الأموي فمن الذي يتصدّى للقيادة؟

وكيف تكون أساليب الحكم؟

بل كانوا يختلفون في . . من هو الإمام الحسين ﷺ؟

وهل هو مجرد ابنر بنت رسول الله؟

هل هو مجرد شهيد في سبيل الحق؟

أم هو إمام معصوم واجب الطاعة؟

وما هو شكل الحكم والنّظام الإسلامي؟

هذه القضايا كانت غامضة عند الأغلبية السَّاحقة من المسلمين، وربما غموض هذه الحقائق هو الذي سبَّب في أن يأتي رجل مثل عبد الله بن الزَّبير ومصعب بن الزّبير، اللذين كانا من أشنأ الناس وأعداهم لآل بيت رسول الله ﷺ، فيحكمان رقاب المسلمين باسم الإمام الحسين ﷺ، ويسرقا ثورته المقدَّسة.

فعبد الله بن الزبير الذي صدَّقه بعض المسلمين واتبعوه، وصل الى الحكم عبر رفع مبادئ الإمام الحسين ﷺ وهو الذي قضى على حكم المختار. وكان في جملة من أدركه الإحصاء ممّن قتله مصعب (ابن الزبير) مع المختار سبعة آلاف رجل، كلُّ هؤلاء طالبو بدم الإمام الحسين ﷺ، وقتلة أعدائه، فقتلهم مصعب، وتَتَبَّع مصعب الشّيعة بالقتل في الكوفة وغيرها، وأتى بحرم المختار فدعاهنَّ الى البراءة منه، ففعلنَ إلَّا حرمتين له إحداهما بنت سمرة بن جندب الفزاري، والثّانية ابنة النّعمان بن

بشير الأنصاري، وقالتا: كيف نتبرّأ من رجل يقول ربّي الله؟ كان صائماً نهاره، قائماً ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله ﷺ وأهله وشيعته، فأمكنه الله منهم حتَّى شفى النّفوس. فكتب مصعب الى أخيه عبد الله بخبرهما وما قالتاه، فكتب إليه: إن هما رجعتا عمّا عليه وتبرأتا منه وإلَّا فأقتلهما، فعرضهما مصعب على السيف، فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرّأت منه، وقالت لو دعوتني الى الكفر مع السيف لكفرت: أشهد أنَّ المختار كافر. وأبت ابنة النعمان بن بشير، وقالت: شهادة أرزقها فأتركها؟

كلَّا إنَّها موتة ثمَّ الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته-صلوات الله عليهم-، والله لا يكون، آتي مع ابن هند فأتبعه وأترك ابن أبي طالب، أللهم اشهد إنّي متّبعة لنبيّك وابن بنته وأهل بيته وشيعته، ثمَّ قدَّمها فقُتلت صبراً، ففي ذلك يقول الشَّاعر:

إنَّ من أعجب الأعاجيب عندي ... قتل بيضاء حرة عطبول

قتلوها ظلماً على غير جرمٍ ... إنَّ لله درها من قتيل

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جرّ الذيول[1]

إنَّ غموض الرؤية عند أبناء الأمة الذين نقموا على سلطة بني أميّة الجائرة بعد قتلها الإمام الحسين ﷺ، وعدم معرفتهم تحت أيّ راية يجب أن ينضووا في معارضتهم لبني أمية، هو الذي مكّن ابن الزّبير من أن يوسع سيطرته على مناطق كثيرة بما فيها الكوفة، إذ قضى على ثورة المختار الفتيّة، تلك التّجربة الرّساليّة التي كان يراد لها أن تعيد المبادئ التي استشهد الإمام الحسين ﷺ من أجلها وعلى رأس تلك المبادئ إرجاع الخلافة الى أصحابها الشَّرعيّين بعد أن حوّلها بنو أمية الى ملك عضوض .

ورأى الإمام السّجاد ﷺ في ذلك الوقت أنَّ سيطرة بني أميَّة على السّلطة إنَّما جاء نتيجة ضعف الرُّوح الدِّينية عند المسلمين، وسيطرة روح المصلحة عليهم، فسعى من خلال سيرته وأدعيته وتربيته للرساليين إلى تركيز المبادئ الإسلامية في النّفوس، وهذا كان يتطلّب وقتاً طويلاً بينما كان بعض الناس يريد أن يتم التَّغيير بشكل سريع دون إعارة أيّ أهمّيّة لهذا العامل المهم في نجاح أي ثورة وضمان عدم انحرافها .

## العلاقة بين الأئمّة والثَّورات

بعد الحديث عن السَّبب الأساس لفشل ثورة المختار وهو الخلافات الدّاخليّة التي شهدتها الأمّة بسبب قلّة الوعي، يأتي السّؤال الأهم عن نوعيّة العلاقة بين الإمام زين العابدين ﷺ والمختار وهذا يجرّنا للسؤال عن نوعيّة العلاقة التي كانت تربط الشّهيد زيد بالإمام الباقر ﷺ، والعلاقة بين يحيى بن زيد والإمام الصادق ﷺ، والعلاقة بين محمد النَّفس الزَّكيّة وأخيه إبراهيم

(١) مروج الذهب/ ج ٣/ ص ٩٩.

بالإمام الصَّادق عليه السلام هذه الأسئلة تطرح دائماً؛ لأنَّ الأئمة عليهم السلام من بعد الإمام الحسين عليه السلام بما فيهم الإمام السَّجَّاد عليه السلام بالرَّغم من أنَّهم عاشوا حقبة طويلة عانت الأمة الإسلامية خلالها من الاضطرابات والثَّورات والفوضى وعدم الاستقرار وتبدل الحكومات، في تلك الفترة لم يحرك الأئمة عليهم السلام ساكناً ظاهرًا في السَّاحة السِّياسيَّة .

فالإمام زين العابدين عليه السلام عاش ٣٢ سنة بعد أبيه مشغولاً بالعبادة والدّعاء والبكاء على أبيه عليه السلام، كذلك الإمام الباقر عليه السلام الذي عاش مدّة مشغولاً بالتَّبليغ والدَّعوة، وكذلك الإمام الصَّادق عليه السلام، أمّا الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فقد عاش أغلب فترة إمامته في السّجن .

## لماذا لم يقم الأئمة بالسيف بعد الإمام الحسين عليه السلام؟

هذا السُّؤال يلحّ على الفكر الرّسالي وبصورة مستمرَّة، فطائفة قالوا: إنَّ الأئمة لم يقوموا بالسَّيف انتظاراً للإمام الحجّة، وكذلك يجب أن لا يقوم أحد بالسّيف (القوة) الى حين ظهور الإمام الحجة-عجل الله تعالى فرجه- .

إنَّنا وبسبب عدم معرفتنا وحدة الاستراتيجية العامّة عند الأئمة وأنَّه لا تناقض بين مواقفهم، فلا يمكن استثناء عصر الإمام الحسين عليه السلام من الفكرة القائلة أنَّ الإمام الحجة يظهر في آخر الزَّمان وهو الذي يثأر للمؤمنين والأنبياء وأولاد الأنبياء، ولا داعي للثورة قبل ذلك، فإمّا نخطّئ الأئمة أو نخطّئ الإمام الحسين عليه السلام وكلا الأمرين لا يصحان .

الجواب هنا دقيق ومهم وربما تقوم على أسس هذا الجواب معرفتنا بالأئمة المعصومين عليهم السلام ونحن نرى بأنَّ أكثر الرّساليين يعيشون نوعاً من التّناقض، فقسم منهم يقدّمون ويقدّرون الإمام الحسين عليه السلام، ويعتقدون بأنَّ موقفه كان صحيحاً، ولكنهم يشكون من طرف خفي، في مواقف الأئمة الآخرين -والعياذ بالله-، وهم لا يجاهرون بالقول خوفاً من الردة ولكنهم يرتابون .

وقسم آخر على العكس من ذلك، فهم يعتقدون بأنَّ موقف الأئمّة عليهم السلام كان صحيحاً ولكنهم يشكون في موقف الإمام الحسين عليه السلام، وبعضهم يبرّر موقف الإمام ويقول: إنَّ الإمام لم يخرج للثورة وإنَّما قتلوه صبراً، كأيّ إنسان عابد، كان يصلّي في بيته فجاءوا وقتلوه فهو لم يخطّط للعمل والثورة ضدّ يزيد .

إنَّ عدم معرفة الدّور السّياسي للأئمة المعصومين عليهم السلام هو الذي يجعل بعض الناس ينتقصون من قدر الأئمة عليهم السلام .

## الأئمة عليهم السلام على رأس الهرم القيادي

إنَّ الأئمة عليهم السلام بعد تجربة كربلاء عملوا بطريقة معيَّنة تقضي بأن يقودوا المجموعة المؤمنة من الرِّساليين الخلّص، وكانوا هم على رأس الهرم يقودون الصّفوة من الفقهاء والزُّهّاد والعُبَّاد المتكلّمين والفلاسفة وأصحاب العلوم المختلفة، وأصحاب الفتوحات وقادة الجيش والسِّياسيين ومن أشبه، ويأخذون بجميع الخيوط الأساسيّة في أيديهم بقوّة وحزم، والأئمة المعصومون لم يكن هدفهم الوصول الى الحكم وإنَّما كان هدفهم أكبر من ذلك وهو بناء الأمّة الإسلامية، وإعدادها للبقاء وللتوسع والامتداد .

بالطَّبع كان من ضمن أهدافهم الوصول الى الحكم أو أن يكون الحكم في أيدٍ أمينة، وكان من ضمن أن تكون الأمَّة الإسلامية أمَّة واعية ومتحرّكة وناهضة، وكذلك أن تكون لها أنظمة صحيحة مستوحاة من الرّسالة الإسلاميَّة، وأن يكون أبناؤها متوجّهين الى الله-تعالى- وفيهم الزّهّاد والعُبّاد الصّالحون حتى تنمو هذه الأمّة وتتقدَّم على جميع الأمم الأخرى في العلم والصّناعة، فقاموا بتحريك الأمّة الإسلاميّة باتجاه هذه الأهداف .

لذلك فالأئمة عليهم السلام كانوا يقودون الثَّورة التَّحريرية التَّصحيحيّة ضد نظام بني أمية وضد نظام بني العباس، ولكنهم لم يورطوا أنفسهم بشكل مباشر في هذه الثَّورة دائماً لماذا ؟

لأنَّهم كانوا يقودون ثورات من أنواع أخرى أيضاً فكانوا يقودون الثَّورة الثَّقافيّة الفكرية والثّورة الاجتماعية العلمية إلَّا أنَّهم في الوقت ذاته كانوا يقودون الثَّورة السِّياسيّة، والآن ربما نستطيع استيضاح هذه الفكرة من عدَّة أمثلة.

## المختار يدعو الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله

لقد عاصر الإمام زين العابدين عليه السلام ثورة المختار، ويرى مجموعة كبيرة من المؤرّخين ومنهم أبو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب (مقاتل الطّالبين) والدّكتور علي سامي النشار صاحب كتاب (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) وكثير غيرهم، إنَّ المختار كان رجلاً رساليّاً ثوريّاً مخلصاً يدعو إلى الرّضا من آل محمد، وهو الإمام زين العابدين-صلوات الله عليه- .

وفي التَّاريخ أدلّة كثيرة على ارتباط المختار بالإمام السَّجّاد عليه السلام الى درجة أنَّه كان يعرف تفاصيل حياة الإمام عليه السلام. فقد جاء في رواية أنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان يدعو في كلِّ يومٍ أن يريه الله قاتل أبيه مقتولاً، فلمّا قتل المختار قتلة الإمام الحسين عليه السلام بعث برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد مع رسول من قبله الى الإمام زين العابدين عليه السلام، وقال لرسوله: (إنَّه يصلي من الليل، فإذا أصبح وصلّى الغداء هجع، ثم يقوم فيستاك ويؤتى بغدائه، فإذا أتيت بابه فاسأل عنه فإذا قيل لك، إنَّ المائدة وضعت بين يديه فاستأذن عليه وضع الرّأسين على مائدته، وقل له: المختار يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا بن رسول الله

قد بلغك الله ثأرك، ففعل الرّسول ذلك فلمّا رأى زين العابدين ﷺ الرَّأسين على مائدته، خرّ ساجداً وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي وبلغني ثأري من قتلة أبي، ودعا للمختار وجزاه خيراً)[١] .

وفي كتاب الدّلائل للحميري، عن المنهال بن عمر: حججت فدخلت على علي بن الحسين﵇، فقال لي يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي؟

قلت: تركته حياً بالكوفة، قال: فرفع يديه ثمَّ قال: أللهم أذقه حرَّ الحديد، أللهم أذقه حرَّ النار، قال: فانصرفت إلى الكوفة وقد خرج بها المختار بن أبي عبيدة وكان لي صديقاً، فركبت لأسلم عليه، فوجدته قد دعا بدابته، فركب وركبت معه حتى أتى الكناسة فوقف وقوف منتظر لشيء وقد كان وجه في طلب حرملة بن كاهل فأحضر فقال: الحمد لله الذي مكّنني منك، ثمَّ دعا بالجزار فقال: اقطعوا يديه فقطعتا، ثمَّ قال: اقطعوا رجليه فقطعتا، ثمَّ قال: النَّار النَّار فأتي بطن قصب ثمَّ جعل فيها، ثم ألهبت فيه النار حتَّى احترق، فقلت: سبحان الله سبحان الله؛ فالتفت إليّ المختار، فقال: مِمَّ سبَّحت؟ فقلت له: دخلت على علي بن الحسين ﷺ فسألني عن حرملة فأخبرت إنِّي تركته بالكوفة حيَّاً، فرفع يديه وقال: أللهم أذقه حرَّ الحديد، أللهم أذقه حر النَّار، فقال المختار: الله الله أسمعت علي بن الحسين ﷺ يقول هذا؟

فقلت: الله الله لقد سمعته يقول هذا، فنزل المختار وصلّى ركعتين ثمَّ أطال ثمَّ سجد وأطال، ثمَّ سجد وأطال، ثمَّ رفع رأسه وذهب ومضيت معه حتى انتهى الى باب داري فقلت له: إن رأيت أن تكرمني بأن تنزل وتتغذى عندي، فقال: يا منهال تخبرني أنَّ علي بن الحسين ﷺ دعا الله بثلاث دعوات فأجابه الله فيها على يدي ثمَّ تسألني الأكل عندك، هذا يوم صوم شكراً لله على ما وفّقني له[٢] .

إذن . . كان المختار رجلاً رساليّاً ويدعو الى الرّضا من آل محمد فلماذا لا نرى الإمام زين العابدين﵇ يأتي الى الكوفة ويؤم الناس جماعة ويقود حرب المختار الذي أمضى شهوراً في الحكم، بل يكتفي الإمام باستلام رأس عبيد الله بن زياد، وأن يسجد لله شاكراً؛ لأنَّ الله-تعالى- انتقم لأبيه المظلوم، ومن جهة أخرى الإمام الباقر ﷺ يقول:

( لا تسبوا المختار فإنَّه قد قتل قتلتنا وطلب ... )[٣] .

---

(١) جاء في موسوعة بحار الأنوار/ ج ٤٦/ ص ١٢١ أنَّه لما ولي عبد اللك بن مروان الخلافة ردَّ الى علي بن الحسين ﷺ صدقات رسول الله ﷺ وصدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وكانتا مضمونتين، فخرج عمر بن علي الى عبد الملك يتظلم إليه من ابن اخيه، فقال عبد الملك: أقول كما قال ابن أبي الحقيق:

إنا إذا مالت دواعي الهوى وانصت السامع للقائل
واصطرع الناس بألبابهم نقضي بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نلط دون الحق بالباطل
نخاف ان تسفه احلامنا فنخمل ادهر مع الخامل.

(٢)بحار الأنوار/ ج ٤٦/ ص ٥٣.

(٣) يقول السيد حسن الأمين مؤلف دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ج ١٢ ص ١٧٠ نقلًا عن كتاب: إنَّ المختار لما استتب له الأمر أرسل محمد بن إبراهيم الاشتر ليشرف على إشادة البناء الذي أمر ببنائه على قبر الحسين ﷺ ويتخذ حوله مسجداً لإيواء الوافدين للزيارة، وان ذلك البناء قد تم اواخر عام ٦٥ هـ .

فالمختار كان من الذين أمرهم الإمام زين العابدين عليه السلام وربما قال له أدع الى محمد بن الحنفية لأسباب معيّنة وربما قال لمحمد بن الحنفية إن عليه وفي تلك الفترة بالذات قيادة الثورة الإسلامية وفي الوقت ذاته كان الإمام زين العابدين يقود ألواناً أخرى من الحركات، فأوّل من سنَّ سُنّة الزهد هو الإمام زين العابدين عليه السلام، وهو قائد جميع الفقهاء في عصره، وكل المذاهب قدّست الإمام زين العابدين عليه السلام وقد بقيت في البلاد الإسلاميّة آثاراً عظيمة من زهده وعلمه وارتباطه بالله -سبحانه وتعالى- وتوجيهه الى الحق .

أنظروا الى التاريخ لتنظروا سعيد بن جبير، وجبير بن مطعم وأبو خالد الكابلي، ويحيى بن أم الطَّويل، والزّهري وهؤلاء هم من قادة الأمّة الإسلاميّة، الذين خطّوا للأمّة الإسلامية مسيرتها، الشّيعة والسّنّة و والخوارج والمرجئة والمعتزلة كلّهم يعتقدون بهؤلاء، وقد كانوا جميعاً من تلامذة الإمام زين العابدين عليه السلام.

## الإمام زين العابدين والثّورة الثّقافيّة

في الوقت نفسه يختار الإمام السَّجّاد عليه السلام سعيداً والزّهري لمهمّات أخرى، ويقوم في ذات الوقت بنشر الإسلام والتّوعية الإسلامية بين العبيد الذين جلبتهم فتوحات بني أميّة غير العقلائية، وكانوا يُشكّلون خطراً على الدّولة الإسلاميّة وعلى الإسلام، لقد كان الإمام عليه السلام يبث في هؤلاء روح الدِّين ويربِّي فيهم مبلغين حقيقيين ويقوم بثورة من نوع آخر .

كذلك الإمام الصَّادق عليه السلام كان من الذين أيّدوا ثورة عَمِّه (زيد بن علي) ونحن لا نستطيع ولا أيّ مؤرّخ أن يهضم أنَّ أخ الإمام أو ابن عمِّ الإمام أو غيرهم من أتباع الأئمّة المخلصين كانوا يخرجون على سلطة الإمام، ويقومون بالثّورات لمجرّد نزوات شخصية، إنَّما كانت هناك خطط معيّنة، فالأئمة عليهم السلام كانوا يقومون بأعمال عدّة في الوقت ذاته، والثّورة السّياسيّة والحركة التّحريريّة كانت من ضمن أعمالهم، وعلاقة الإمام زين العابدين عليه السلام مع المختار كانت ضمن هذه العلاقة، فالإمام لم يشترك علانية في الثّورة، ولم يكن من الصّحيح أن يشترك فيها، فالثورة كانت تواجه احتمالات فشل ومن ثمّ فإنَّ الإمام وحركته وجميع الرّساليين في العالم كانوا سينتهون بفشل الثّورة العسكرية ولم يكن هذا العمل سليماً، فالإمام كان في موقع يغذّي سائر الثَّورات ويشرف عليها بصورة عامّة وغير علنية، ولكن هنا يجب أن نعرف بطولة المختار وتفانيه في سبيل الحق، في قبوله عدم التَّأييد الظَّاهري للإمام زين العابدين عليه السلام وقبوله للقيام بالثورة دون أن يفشي بالسّرّ الذي بينه وبين الإمام .

وهناك مزيد من التَّفاصيل من هذا الارتباط الذي بين الأئمة عليهم السلام وبين سائر الثَّورات، وخلاصة القول: إنَّه كلَّما قامت في الأمَّة الإسلامية حركة خيّرة سواء كانت ثورة عسكرية أو ثقافية أو دينية أو حركة (فتوحات وامتداد إقليمي) أو ما أشبه، فإنَّها كانت بخطط وقيادة الأئمّة المعصومين عليهم السلام .

المختار

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ .

صدق الله العلي العظيم
سورة الحجر/ الآية : ٤١

# شهر جمادى الاولى

- شخصية السيدة زينب عليها السلام
- حروب الإمام علي عليه السلام
- زيد بن صُوحان نموذج الوفاء والولاء
- سامراء بين الشّكر والكفر

# شخصية السيدة زينب عليها السلام

محمد يوسف السعدي

لابد وأنَّ العائلة قد استبشرت وابتهجت بولادة السّيّدة زينب عليها السلام؛ لأنَّها أوَّل طفلة يحتفي بها بيت علي وفاطمة عليهما السلام فقد سبق وأن ازدان البيت الطاهر بوليدين صبيّين هما الإمام الحسن عليه السلام الذي ولد منتصف شهر رمضان في السنة الثّالثة للهجرة، والإمام الحسين عليه السلام الذي وُلد في الثَّالث من شعبان للسنة الرّابعة من الهجرة، وتأتي الآن السّيّدة زينب عليها السلام في السنة الخامسة، وبعد عام أو أكثر أنجبت السيدة الزهراء عليها السلام بنتاً أخرى هي السّيّدة أم كلثوم لتكون شقيقة لأختها زينب عليها السلام.

وخلافاً لما كان منتشراً عند بعض العرب في الجاهلية من التَّشاؤم والاستياء عند ولادة البنت واعتبارها مولوداً ناقص القيمة والشّأن، بل قد تسبَّب لهم العار والفضيحة، كما أنَّها لا تنفعهم في المعارك والحروب، ولذلك كان بعضهم يئدها عند ولادتها بقتلها أو بدفنها حيَّة كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم بقوله: **(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)**[1]

وخلافاً لذلك فقد أرسى الإسلام ثقافة سلوكيّة جديدة في المجتمع الإسلامي تدين نظرة الاحتقار للبنت وتجعلها مساوية في الشّأن والقيمة للولد، وأكثر من ذلك فإنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يتحدَّث عن البنات بإيجابية أكبر، ويربّي المسلمين على أن يكونوا أكثر احتفاءً وسروراً بقدوم البنت .

(١) سورة النَّحل/ الآيتان: ٥٨-٥٩.

وننقل هنا بعض الأحاديث والنّصوص الواردة عن النَّبي ﷺ، وعن الأئمَّة الطَّاهرين عليهم السلام عندما بُشّر رسول الله ﷺ بابنة فنظر إلى وجوه أصحابه فرأى الكراهة فيهم، فقال «ما بالكم؟ ريحانة أشمّها ورزقها على الله عز وجل»[١].

وكان رسول الله ﷺ يُكنّى أبا البنات.

وسبب آخر يؤكّد على حتميّة السّرور والابتهاج الذي غمر البيت النَّبوي عند ولادة زينب عليها السلام هو المعرفة المسبقة التي أوحى الله -تعالى- لرسوله ﷺ بالمكانة العظيمة الدّور الرّيادي الذي ستقوم به هذه الوليدة في الأمّة الإسلاميّة، لذلك تشير إحدى الرّوايات إلى أنَّ تسمية السّيّدة زينب عليها السلام تسمية إلهية ..يقول العلامة السيد محمد كاظم القزويني: سمَّاها جدّها الرسول زينباً، والكلمة مركَّبة من زين الأب[٢].

إنَّ الشَّخصيّة الثَّانية في واقعة الطَّف بعد الإمام الحسين عليه السلام والشَّخصية الأولى التي مثَّلت النّساء في واقعة الطَّف هي بطلة كربلاء زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام والتي تشاطرت هي والحسين عليه السلام بنهضة حتم القضاء عليهما أن يندبا، فالسّيّدة زينب عليها السلام لاشكّ أنَّها بحقّ تكون أمثولة للمرأة المسلمة من خلال ما اكتسبت هذه الشَّخصية العظيمة من خصائص ومميزات، فالإمام السجاد عليه السلام ركَّز على ميزة واحدة ومهمَّة جدًا من ميزات هذه الشَّخصيّة وهي شخصية العلم والفهم، ومن المعلوم ما للعلم والفهم من دور كبير جدًا في تشخيص المسؤولية، بالإضافة الى ذلك الدَّور الكبير حتى على المستوى الرُّوحي والمعنوي، فمن عرف نفسه فقد عرف ربَّه، ومعنى ذلك أنَّ المعرفة لها دور كبير جدًا في سمو الإنسان من النَّاحية المعنوية.

إنَّ السَّيّدة زينب عليها السلام حظيت بشهادة أنَّها عالمة غير معلّمة ومعنى أنَّها غير معلّمة أي أنَّها تلهم العلم إلهامًا، ولذلك عندما يأتي المؤرّخون للحديث عن علم السّيّدة زينب عليها السلام يقولون إنَّ علمها من سنخ علم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ويعني أنَّ هناك تطابق كبير إن لم يكن كلي، أي مماثلة، وهذا لما وصلت إليه السيدة زينب عليها السلام من المستوى العلمي لكن كل ذلك ببركة عوامل، وهذه العوامل ساعدت السّيدة زينب عليها السلام أن تصل الى هذا المكان العالي من العلم، وأوّل عامل من هذه العوامل هو عامل الرّعاية التي حظيت بها مولاتنا زينب عليها السلام منذ طفولتها إذ كانت حياة السيدة زينب بنت الإمام علي المرتضى وفاطمة الزّهراء سيدة نساء العالمين عليهما السلام، بمثابة إعداد وتهيئة للدور الأكبر الذي ينتظرها في هذه الحياة، فأنَّ أوّل خمس سنوات من عمرها حظيت برعاية جدّها المصطفى ﷺ وهو يقود معارك الجهاد لتثبيت أركان الإسلام ويتحمّل هو وعائلته ظروف العناء والخطر، وهناك أخبار تدل على أنَّ النّبي ﷺ كان يطلعها عن أمور

(١) بحار الأنوار / ج١٠١/ ص٩١.

(٢) فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد / ص٢٢٩ .

غيبيّة ستحدث في المستقبل ومن هذه الأمور الغيبية التي أخبرها النبي الأعظم ﷺ واقعة الطَّف وبالذي سيجري على الإمام الحسين عليه السلام.

الزهراء عليها السلام هي الحجر وهي الحضن الذي احتضن هذه المرأة العظيمة فالزهراء هي خير النساء وربيبتها زينب عليها السلام وبالتالي ستكون بين بطلة كربلاء وفاطمة الزهراء عليها السلام, إذ أنَّ الزهراء عليها السلام جعلت طريقها لإيصال خطبتها التي خطبتها في مسجد المصطفى ﷺ إلى الأجيال عن طريق السيدة زينب عليها السلام، وأنَّ واقعة فدك وأحداثها أكثر من ترويها السّيّدة زينب عليها السلام وكان عمرها آنذاك خمس سنوات، أي في أيَّام الطّفولة المبكّرة من حياة السّيّدة زينب عليها السلام وإذا هي تصل الى أن تحفظ خطبة أمّها الزَّهراء عليها السلام هذه الخطبة الطّويلة التي يحتاج الشَّخص إلى أيّام لكي يحفظها، وكأنَّ الزَّهراء عليها السلام أخذت السّيّدة زينب عليها السلام معها الى المسجد لتحفظ هذه الخطبة وتنقلها الى الأجيال، ولذلك عبد الله بن عباس سنده في أحداث فدك هي السّيّدة زينب عليها السلام، إذ يقول حدّثتنا عقيلتنا زينب عليها السلام، ويأتي يتحدّث ما الذي قالته فاطمة عليها السلام في أمر فدك، فالطَّريق لمعرفة الأمور لدى فاطمة الزَّهراء عليها السلام فيما يرجع في أمر فدك كانت السّيّدة زينب عليها السلام، وهذا نوع من أنواع الرّعاية لها من قبل أمِّها فاطمة عليها السلام، كذلك أيام أمير المؤمنين عليه السلام كانت هناك الرّعاية التي نراها من خلال أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طلب منها أن تلقي الدّروس في الفقه والدّروس في التَّفسير، وهذا نوع من أنواع الرّعاية في مجتمع آنذاك ما كانت المرأة أن تُعطى لها هكذا حرّيّة بإلقاء دروس او وصلت الى هكذا مستوى من العلم، بحيث تدرّس غيرها أي تعطي دروسًا في تفسير القرآن الكريم، وهذا لا شك يدل على رعاية من أمير المؤمنين عليه السلام بحيث أنَّ هناك أرضيّة بناها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقبل ذلك النبي الكريم ﷺ وفاطمة الزهراء عليها السلام الى أن وصلت الى مرتقى من العلم بحيث تُفسّر كتاب الله -عزّ وجل- في الكوفة على مجموعة من النّساء.

أمَّا في أيّام الإمام الحسن عليه السلام فالتَّقدير الرَّفيع كان متبادلاً بين السَّيِّدة زينب الكبرى وبين أخيها الأكبر عليه السلام، وهو السّبط الأوَّل لرسول الله ﷺ والإمام الزَّكي، والسّيّدة زينب عليها السلام كانت تنظر إلى أخيها الإمام الحسن من منظارين، منظار الأخوّة، ومنظار الإمامة.

فمن ناحية يعتبر الإمام الحسن عليه السلام الأخ الأكبر للسّيّدة زينب عليها السلام ومن المعلوم أنَّ الأخ الأكبر له مكانة خاصة عند الأخوة والأخوات، وقد ورد في الحديث الشريف الأخ الأكبر بمنزلة الأب.

ومن ناحية أخرى يعتبر الإمام الحسن عليه السلام إمام زمان السّيّدة زينب بعد شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولهذا فإنَّ احترامها لأخيها كان ينبعث من هذين المنطلقين.

أمّا عن السّيّدة زينب وأخيها الإمام الحسين عليهما السلام فإنَّ روابط المحبَّة والعلاقات الودّيّة كانت وما زالت يضرب بها المثل في المحبَّة والمودَّة بين اثنين، وكانت تمتاز بمزايا، ولا نبالغ إذا قلنا لا يوجد، ولم يوجد في العالم أخ وأخت تربطهما روابط المحبة والوداد مثل الإمام الحسين وأخته السيدة زينب عليهما السلام فإنَّ كلّاً منهما كان قد قدم أروع المزايا وأصدق صفات الأخوة في مجال المحبّة الخالصة، والعلاقات القلبيّة، وكيف لا يكونان كذلك وقد تربّيا في حجر واحد وتفرّعا من شجرة واحدة، ولم تكن تلك العلاقات منبعثة عن عاطفة القرابة فحسب، بل عرف كل واحد منهما ما للآخر من الكرامة، وجلالة القدر وعظم الشّأن، فالسّيّدة زينب عليها السلام تعرف أخاها بأنَّه: سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرّسول صلى الله عليه وآله، وتعلم بأنَّ الله -تعالى- قد أثنى على أخيها في آيات كثيرة من القرآن الكريم، كآية المباهلة، وآية المودّة، وآية التَّطهير، وسورة هل أتى وغيرها من الآيات والسور، بالإضافة إلى أنَّها عاشت سنوات مع أخيها في بيت واحد، وشاهدت ما كان يتمتّع به أخوها من مكارم الأخلاق والعبادة والرّوحانية، وعرفت ما لأخيها من علو المنزلة وسمو الدَّرجة عند الله -عز وجل-، وتعلم أنَّه إمام منصوب من عند الله -تعالى-، منصوص عليه بالإمامة العظمى والولاية الكبرى من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، مع توفّر شروط الإمامة ولوازمها فيه، كالعصمة، والعلم بجميع أنواع العلوم، وغير ذلك، وهكذا يعرف الإمام الحسين عليه السلام أخته السيدة زينب حقّ المعرفة، ويعلم فواضلها وخصائصها، ومن هنا يمكن لنا أن نطلع على شيء من مدى الرّوابط القويّة بين هذا الأخ العظيم وأخته العظيمة، ففي رواية أنَّ الحسين عليه السلام عندما دخلت السيدة زينب الى الخيمة ليلة العاشر كان يقرأ القرآن الكريم فلما أقبلت السيدة زينب عليها السلام أطبق القرآن الكريم ثم قام إجلالاً واحترامًا لها، وأجلسها الى جنبه، فلو نظرنا الى هذه الرعاية فالسيدة زينب عليها السلام الذي بنى شخصيتها -هذه الشخصية العلمية التي شهد لها الإمام السجاد عليه السلام بها- هي هذه الرعاية من أبيها وأمّها وأخويها وقبل ذلك من جدِّها المصطفى صلى الله عليه وآله، ولدينا رواية أخرى تقول بأنَّ الإمام الحسين عليه السلام أرجع أمور الشِّيعة ولو لأيّام وذلك في أيّام المحنة عندما كان الظرف لا يساعد أن يُبرز الإمام السجاد عليه السلام نفسه كإمام آنذاك فكانت السّيّدة زينب عليها السلام حلقة الوصل بين شيعة أهل البيت عليهم السلام، وما يدلّ على مزيد فضلها أنّها كانت تنوب عن أخيها الإمام الحسين عليه السلام في حال غيابه فيرجع إليها المسلمون في المسائل الشّرعية، وكان يروي عنها عبد الله بن جعفر، والسيّدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام، ولمّا كانت في الكوفة في أيام أبيها كان لها مجلس خاص تزدحم عليها السّيّدات فكانت تلقي عليهنّ محاضرات في تفسير القرآن الكريم، كما كانت المرجع الأعلى للسيّدات من نساء المسلمين، فكنّ يأخذنَ منها أحكام الدّين وتعاليمه وآدابه، ويكفي للتدليل على فضلها أنّ ابن عباس حبر الأمة كان يسألها عن بعض المسائل التي لا يهتدي لحلّها، كما روى عنها

كوكبة من الأخبار، وكان يعتزّ بالرّواية عنها، ويقول: (**حدّثتنا عقيلتنا زينب بنت علي**)[١]، وقد روى عنها الخطاب التاريخي الذي ألقته أمّها سيّدة النّساء فاطمة عليها السلام في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله، وقد نابت عن ابن أخيها الإمام زين العابدين -عليه السّلام- في أيّام مرضه، فكانت تجيب عمّا يرد عليه من المسائل الشَّرعيّة، وكانت الخطيبة اللامعة في الإسلام، فقد هزّت العواطف، وقلبت الرَّأي العام وجنّدته للثورة على الحكم الأموي، وذلك في خطبها التّاريخية الخالدة التي ألقتها في الكوفة ودمشق، وهي تدلّل على مدى ثرواتها الثّقافية والأدبية، وهذا ممّا يدل على وجود رعاية لهذه الشَّخصيّة العظيمة من قبل أبيها واخوتها عليهم السلام وهذا يلفت النَّظر أنَّ المرأة سواء كانت أيام طفولتها أو أيام شبابها أو ما بعد الشباب بحاجة الى أن يقف الرجل الى جنبها، والرّجل بحاجة ماسة جدًا الى أن يقف الى جانب المرأة، والسيدة زينب عليها السلام تحمَّلت رسالة عظيمة جدًّا بعد شهادة جدِّها صلى الله عليه وآله ولكن كل ذلك ببركة وقوف جدِّها النَّبي الأعظم وأبيها أمير المؤمنين وأخويها الحسن والحسين -صلوات الله عليهم أجمعين- وهذا أمر مهمّ جدًّا.

وكانت السّيّدة زينب عليها السلام في خطبها كأنَّها تتكلّم عن لسان أبيها عليه السلام، فهو الذي ربَّاها على الثِّقة بالنفس، وعلى قوة الشّخصية بحيث لم تهتز أبدًا أمام كل المصائب التي رأتها، ولا أمام ابن زياد ولا أمام يزيد، بل كان منطقها منطق القوّة والشَّجاعة فنراها تقول: **" فكد كيدك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا...."**[٢]، وما كان للسيدة زينب عليها السلام أن تنجح في أداء ذلك الامتحان، وممارسة ذلك الدّور، لو لم تمتلك ذلك الرَّصيد الضّخم من تجارب المقاومة والمعاناة، ولو لم يتوفَّر لها ذلك الرّصيد الكبير من البصيرة والوعي.

أمَّا العامل الثَّاني هو العامل الرَّاجع الى التّربية الذَّاتية من شخص السيدة زينب عليها السلام، فالتربية لا يمكن أن تفرضها فرضًا وإنَّما تحتاج الى استعداد وتقبّل ذاتي، فالسيدة زينب عليها السلام لديها ذلك التقبل والاستعداد الذَّاتي لأن تتلقّى هذه العلوم.

فكيف يمكن للمرأة أن تُهيّء نفسها وتستعد لمثل هذه العلوم، ويكون من خلال التَّربية الرُّوحيّة، وصفاء النَّفس، والانقطاع الى الله -سبحانه وتعالى-، إذ أنَّ الرّوايات تقول: « **من أخلص لله أربعين يومًا فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**»[٣]، والإمام السَّجّاد عليه السلام عندما قال في عمّته زينب عليها السلام "**غير معلمة** "[٤]وهي عليها السلام قد تعلَّمت وأخذت من علوم النّبي وفاطمة وعلي والحسن والحسين -صلوات الله عليهم أجمعين-؛ لكن الإمام يشير الى علمٍ آخر، ذلك

(١) مقاتل الطالبيين / ص ٦٠.
(٢) بحار الانوار / ج٤٥/ ص١٣٥.
(٣) المصدر نفسه / ج٦٧ / ص٢٤٩.
(٤) المصدر نفسه/ ج٤٥ / ص١٦٤.

العلم هو العلم الإلهامي الذي يُنزله الله -سبحانه وتعالى- إلهامًا في قلب الإنسان الذي يمتلك تلك الصفات الخاصة، فالعلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء.

وقد عرفت السيدة زينب عليها السلام بانقطاعها الى الله-تعالى- حتى أنَّ فاطمة بنت الحسين عليها السلام عندما تتحدَّث السيدة زينب عليها السلام ليلة الحادي عشر من محرم تقول لا تزال في محرابها تستغيث الى الله -سبحانه وتعالى- وتتضرع إليه وهي في وقار وسكينة، مع المصائب لكن تصفها بأنَّها في سكينة و وقار في انقطاعها الى الله -تعالى-، حتى صلاة الليل لم تتركها على الرغم من كل ما رأته من المصائب والآلام ومما يحز في قلبها ويدمي قلبها ألم وحصرة في أنَّها تركت جسد أخيها الإمام الحسين عليه السلام على تراب كربلاء، وقد صمدت أمام ذلك البلاء، وقاومت الأحداث بنفس آمنة مطمئنة راضية بقضاء الله -تعالى- وصابرة على بلائه، فكانت من أبرز المعنيّين بآيات الصّبر في القرآن الكريم: **(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)**[١]

**(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**[٢]

**(وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[٣]

لقد صبرت حفيدة الرَّسول صلى الله عليه وآله وأظهرت قوّة النَّفس أمام أعداء الله-تعالى-، وقاومتهم بصلابة وشموخ، فلم يشاهد في التأريخ سيّدة مثلها في قوَّة عزيمتها وصمودها أمام الكوارث والخطوب، لقد قابلت العقيلة ما عانته من الكوارث المذهلة والخطوب السود .

فحينما تُسأل: كيف رأيتِ صنع الله فيكم؟ تقول: «**ما رأيت إلَّا جميلاً**»[٤].. كل هذه المصائب جميلة في عين زينب الكبرى؛ لأنَّها من الله وفي سبيل الله-تبارك وتعالى-، وهذا المقام المتقدِّم دليل على عظمة مقام السيدة زينب -عليها السلام- .

لذلك بقي اسم زينب عليها السلام وعملها إلى اليوم أنموذجاً خالداً في العالم، وأنَّ ذلك الصَّبر العظيم وذلك الصّمود وتحمّل كل تلك المصائب والمشكلات أدَّى إلى أنّنا نرى اليوم القيم الدّينيّة والإنسانية وهي منتشرة حول العالم .

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٥٥-١٥٦.

(٢) سورة الزمر/ الآية: ١٠.

(٣) سورة النحل/ الآية: ٩٦.

(٤) الملهوف/ ص١٤٢-١٤٣.

فقد كانت حفيدة الرسول ﷺ بحكم مواريثها وخصائصها أعظم وأجلّ سيّدة في دنيا الإسلام بعد الزهراءعليها السلام، فقد أقامت صروح العدل، وشيّدت معالم الحقّ، وأبرزت قيم الإسلام ومبادئه على حقيقتها النَّازلة من ربّ العالمين، فقد جاهدت هي وأُمّهاعليها السلام كأعظم ما يكون الجهاد، ووقفتا بصلابة لا يعرف لها مثيل أمام التَّيّارات المنحرفة التي حاولت بجميع ما تملك من وسائل القوّة أن تلقي السّتار على قادة الأُمّة وهداتها الواقعيين، الذين أقامهم الرسول ﷺ أعلاماً لأُمّته، وخزنة لحكمته وعلومه، فقد أظهرت الزهراءعليها السلام بقوّة وصلابة عن حقّ سيّد العترة الإمام أمير المؤمنينعليه السلام، رائد العدالة الاجتماعية في الإسلام، فناهضت الحكومة القائمة آنذاك في خطابها التاريخي الخالد، وسائر مواقفها المشرّفة التي وضعت فيها الأساس المشرق لمبادئ شيعة أهل البيتعليهم السلام، فهي المؤسّسة الأُولى بعد أبيها ﷺ لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وكذلك وقفت ابنتها العقيلة أمام الحكم الأُموي الأسود الذي استهدف قلع الإسلام من جذوره ومحو سطوره، وإقصاء أهل البيت عليهم السلام عن واقعهم الاجتماعي والسياسي، وإبعادهم عن المجتمع الإسلامي، فوقفت حفيدة الرسول ﷺ مع أخيها سيد الشهداء في خندق واحد، فحطّم أخوها بشهادته وهي بخطبها في أروقة بلاط الحكم الأُموي، ذلك الكابوس المظلم الذي كان جاثماً على رقاب المسلمين.

وكانت حفيدة الرَّسول ﷺ كأبيها وأخيها عليهم السلام في عظيم إيمانها وانقطاعها إلى الله-تعالى-، فقد وقفت على جثمان شقيقها الذي مزّقته سيوف الشِّرك، وهو جثّة هامدة بلا رأس، فرمقت السَّماء بطرفها، وقالت كلمتها الخالدة التي دارت مع الفلك وارتسمت فيه:

«**اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان**»[1].

إنّ الإنسانية تنحني إجلالاً وخضوعاً أمام هذا الإيمان الذي هو السرّ في خلودها وخلود أخيها.

لقد تضرّعت بطلة الإسلام بخشوع إلى الله -تعالى- أن يتقبّل ذلك القربان العظيم الذي هو ريحانة رسول الله ﷺ.

فأيّ تبتّل إلى الله -تعالى- يضارع هذا التبتّل؟!

لقد أظهرت حفيدة الرسول ﷺ بهذه الكلمات الخالدة معاني الوراثة النَّبويّة، وأظهرت الواقع الإسلامي وأنارت السبيل أمام كلّ مصلح اجتماعي، وأنّ كلّ تضحية يجب أن تكون خالصة لوجه الله غير مشفوعة بأيّ غرض من أغراض الدنيا.

ومن عظيم إيمانها الذي يبهر العقول، ويحيّر الألباب أنّها أدّت صلاة الشُّكر لله -تعالى- ليلة الحادي عشر من المحرّم

(١) مواقف من كربلاء/ ص٢٣.

على ما وفّق أخاها ووفّقها لخدمة الإسلام ورفع كلمة الحق.

لقد أدّت الشُّكر في أقسى ليلة وأفجعها، والتي لم تمرّ مثلها على أيّ أحدٍ، فقد أحاطت بها المآسي التي تذوب من هولها الجبال، فالجثث الزَّواكي من أبناء الرسول وأصحابهم أمامها لا مغسّلين ولا مكفّنين، وخيام العلويات قد أحرقها الطّغاة اللئام، وسلبوا ما على بنات رسول الله ﷺ من حلي وما عندهنّ من أمتعة وهنّ يَضِجْنَ بالبكاء لا يعرِفْنَ ماذا يجري عليهنّ من الأسر والذّلّ إلى غير ذلك من المآسي التي أحاطت بحفيدة الرَّسول ﷺ وهي تؤدِّي صلاة الشّكر لله -تعالى- على هذه النّعمة التي أضفاها عليها وعلى أخيها-صلوات الله عليهما-.

# حروب الإمام علي عليه السلام

سيف الباوي

عاش الإمام علي عليه السلام في ظروف حرجة جدّاً أيّام حكمه، إذ كان معاوية يحارب الإمام علي عليه السلام من جهة، وكان طلحة والزبير يحاولان إثارة الفتن الدَّاخلية ضدّ الإمام عليه السلام من جهة أخرى.. وقد أعلن الخوارج الحرب على الإمام عليه السلام من جهة ثالثة.. أمّا أشراف قريش فلم يكونوا راضين عن الإمام عليه السلام بل كانوا يحاولون تدبير المؤامرات ضدّه في أيّة فرصة مناسبة.. والولاة السّابقون الذين عزلهم الإمام عليه السلام كانوا يكنون للإمام عليه السلام حقداً دفيناً.. وهكذا.

وفي مثل هذه الظّروف الحرجة عاش الإمام عليه السلام واستطاع رغم كل ذلك أن يُطبّق أهدافه إلى حدٍّ كبيرٍ.. فقد زال الفقر من البلاد الإسلامية وتحقّقت العدالة الاجتماعية فيها..

وفي هذا المقال سنتعرض لذكر الحروب التي وقعت بين الإمام عليه السلام وبين مناوئيه وهي: الجمل، وصفين والنّهروان.

## أوّلاً: معركة الجمل

بعد أن استلم الإمام علي ﷺ مقاليد الحكم والخلافة بعدّة أسابيع فكّر أعداء الإمام في إثارة الفتنة ضدّ الإمام ﷺ والاستيلاء على الحكم.. وبالاتفاق مع طلحة والزّبير ومروان بن الحكم ويعلى بن أمية ـ والي اليمن سابقاً ـ والوليد بن عقبة أخ عثمان وعبد الله بن عامر ـ والي البصرة سابقاً ـ وغيرهم وتحت عنوان (الثأر لدم عثمان) .

ولكن باعتبار أنَّ محيط مكة لم يكن مساعداً للحرب لذلك قرّروا السَّفر نحو البصرة وقيادة الانشقاق من هناك.. مع ألف مسلّح إلى البصرة ـ وقد غطَّى يعلى بن أميّة جزءًا من نفقات الحرب، فقد قدم ستمائة جمل لأجل الحرب ..

وفي هذه الأثناء كان «عثمان بن حنيف» والياً للإمام ﷺ على البصرة.. فقرّر أعداء أمير المؤمنين خداعه، فدخلوا إلى البصرة تحت عنوان (الصّلح) وعندما استقرّوا في البصرة أخرجوا عثمان بن حنيف منها بعد حرب طاحنة قتل جيش البصرة فيها سبعين شخصاً من عباد أهل البصرة فقط!!..[1].

وعندما وصل الخبر للإمام ﷺ كان الإمام ﷺ مشغولاً بالإعداد لحرب معاوية إلا أنَّ هذا الحادث الطَّارئ غيّر خطّة الإمام ﷺ.. فتوجّه ﷺ عند سماعه النَّبأ إلى البصرة مع ألف فارس.. ثم أرسل الإمام أمير المؤمنين ﷺ الإمام الحسن ﷺ ومالك الأشتر وأشخاصاً آخرين إلى الكوفة لكي يجهّزوا جيشاً قويّاً من هناك، وقد كان أبو موسى الأشعري والياً على الكوفة ولغبائه وبلاهته كان يحرّض الناس على ترك الحرب وعدم القتال!.. إلّا أنَّ مجموعة من أصحاب الإمام ﷺ بقيادة مالك الأشتر ثاروا ضدّه واحتلّوا دار الإمارة وبذلك عزلوا أبا موسى الأشعري عن الولاية.. واستطاع الإمام الحسن ﷺ أن يجهّز جيشاً مكوّناً من (١٢) ألف شخص من الكوفة التحق بجيش الإمام علي ﷺ في «ذي قار».. وهناك قرّر الإمام ﷺ إرسال وفد إلى البصرة لإطفاء الفتنة بدون حرب.. وذهب الوفد.. ولكن لم تنفع نصائحه لطلحة والزّبير في تغيير رأيهما.. بل استطاعوا أن يشكّلوا جيشاً مكوّناً من ثلاثين ألف رجل من أهل البصرة لحرب الإمام علي ﷺ.

وفي صحراء واسعة قرب بوّابة البصرة عسكر الجيش وفي قباله جيش الإمام ﷺ وهناك وقبل بدئ المعركة اتبع الإمام ﷺ خطّتين ذكيّتين سبّبتا تحطّم معنويات جيش البصرة..

---

(١) بحار الأنوار/ ج٨/ ص١٨٠.

## الخطة الأولى:

قبل بدئ المعركة بدقائق تقدَّم الإمام ﷺ نحو جيش البصرة بدون سلاح.. وتقدّم.. حتى وصل إلى مقدّمة الجيش.. ونادى: يا أبا عبد الله.. يا أبا عبد الله.. يا زبير بن العوّام.. تقدّم زبير وجرت بينهما محادثات طويلة كانت أهم نقطة فيها هي: تذكير الإمام ﷺ له بحادثتين حدثتا في زمن الرّسول ﷺ حيث قال الرسول ﷺ للزبير: «.. أما أنّك ستقاتله ـ أي الإمام علي ﷺ ـ وأنت له ظالم» وحادثة أخرى مشابهة.. وبذلك استطاع الإمام ﷺ أن يؤثّر عليه ويبدل رأيه .. فقرّر الزّبير الانسحاب من الحرب قبل أن تبدأ.. وبالطبع فإنَّ انسحاب الزبير أثَّر تأثيراً كبيراً على جيش البصرة وأضعف معنوياته إلى حدٍّ كبير.. وبعد قليل بدأ الجيش المناوئ برمي السّهام نحو جيش الإمام ﷺ وسقط عدّة قتلى من جيشه، وعند ذلك قرّر الإمام ﷺ الرّدّ بالمثل.. وقبل ذلك اتبع الإمام ﷺ خطة أخرى هي الحرب النَّفسيّة.

الخطّة الثَّانية: بعد أن رمى الأعداء جيش الإمام ﷺ بالسّهام وبعد أن شرعت الرّماح للحرب، دعا ﷺ بمصحف.. وقال لجنوده: «من يأخذ هذا المصحف يعرضه عليهم ويدعوهم إلى ما فيه، فيحيي ما أحياه ويميت ما أماته» فتقدّم مسلم المشاجعي إلى الإمام ﷺ وقال: يا أمير المؤمنين أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه، فقال له الإمام ﷺ: «إن فعلت ذلك إنَّك لمقتول!» فقال الشّاب: «والله يا أمير المؤمنين ما شيء أحب إليّ من أن أرزق الشّهادة بين يديك، وأن أُقتل في طاعتك».. أعطاه الإمام ﷺ القرآن.. تقدَّم مسلم وصرخ في جيش الجمل: «معاشر النَّاس هذا كتاب الله، وإنَّ أمير المؤمنين ﷺ يدعوكم إلى كتاب الله، والحكم بما أنزل الله فيه.. فأنيبوا إلى طاعة الله والعمل بكتابه»..

وعندما سمع جيش الجمل صراخ الشَّاب يدوّي في الفضاء تقدَّموا نحوه وقطعوا يده اليمنى وفيها المصحف، فتناول المصحف بيده اليسرى وكرّر نداءه.. فقطعوا يده اليسرى أيضاً.. ولكن كانت نداءاته لا تزال ترن في الفضاء ودماؤه تسيل على الأرض.. هجم جيش الجمل عليه وقطَّعوه قطعة قطعة[1].

وقد أثّرت هذه الحادثة على الكثيرين من جيش الجمل.. فقد ضعضع ذلك إيمانهم بالحرب إذ رأوا أنَّ قادة الجيش قتلوا حامل القرآن ومزّقوا القرآن الكريم بالرّماح مما سلب إيمان الكثيرين بقدسيّة أو حتى إسلامية الحرب التي يخوضونها ضدّ الإمام علي ﷺ.. واشتعلت الحرب.. حامية.. قاسية.. وانهزم الأعداء أمام جيش الإمام ﷺ.. واستمرّت الحرب يومين آخرين وانتهت بهزيمة ساحقة للجيش المناوئ وذلك في ٢٠ جمادى الأولى / ٣٦ هجرية..

(١) بحار الأنوار/ ج٨/ ص٢٥-٢٦.

ثم دخل الإمام ﷺ البصرة فاتحاً، وفي هذه المعركة الطَّاحنة قتل من جيش الإمام ﷺ ١٧٠٠ مجاهد[١] بينما قتل من أصحاب الجمل ١٧ ألف رجل.

## سياسة اللاعنف

وعندما انتهت المعركة أمر الإمام ﷺ من ينادي في الناس بأنَّ (من ألقى سلاحه فهو آمن) ثم دعا ببغلة رسول الله ﷺ (الشَّهباء) فركبها وجمع حوله زهاء ستين شيخاً كلّهم من همدان مدججين بالسّلاح، ثم سار وهم معه إلى أن وصل إلى دار كبيرة فأمر بفتح الباب ففتح له، وفي مساحة الدَّار الواسعة كانت عشرات النّساء قد احتشدن فيها وهنَّ يبكين، وعندما شاهدن الإمام ارتفعت أصواتهن بالبكاء وصرخن: هذا قاتل الأحبة.

والذي يظهر أنَّ هذه المسرحيّة كانت خطّة مدبّرة من قبل بعض قادة جيش الجمل الذين لم يقتلوا في المعركة وهربوا وكان اجتماع النّساء في هذه الدّار وبكائهنَّ خطّة للتغطية على القادة الذين اختبئوا في حجرات تلك الدَّار، وكانوا يتصوّرون أنَّ الإمام سيخدع بذلك وسيتصور حقاً أنَّ ليس في الدّار سوى النّساء اللاتي يبكين قتلاهنَّ.

ولكن الإمام ﷺ عرف أنَّ وراء الأكمة ما وراءها وعرف الخطّة المرسومة فصاح (صفية) فأتته على جناح السرعة فقال لها: «ألا تبعدين عني هؤلاء الكلبات[٢] يزعمنَ أنيّ قاتل الأحبَّة ولو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة ومن في هذه». وأشار الإمام إلى ثلاث حجر.

فتوجّهت صفيّة إلى النّساء اللاتي كُنَّ يبكين، وأخبرتهنَّ بما قاله الإمام ﷺ لها: (فما بقيت في الدّار صائحة إلَّا سكتت، ولا قائمة إلا قعدت) أو ليست الخطّة قد فشلت وها هو الإمام ﷺ قد عرف الخطة وأدرك أنَّ بكاءهنَّ ما هو إلَّا مسرحية للتغطية؟!

وهكذا وقع أقطاب (البغاة) وقادة حركة المعارضة بيد الإمام ﷺ فماذا صنع الإمام بهم؟ وماذا كان موقف الإمام منهم في الوقت الذي كان أصحابه قد ضربوا بأيديهم إلى قوائم سيوفهم وأحدوا أبصارهم واستعدوا لكي يقتلوهم في لحظة واحدة بمجرد صدور أمر الإمام[٣].

لقد اتخذ الإمام ﷺ موقفاً حكيماً جدَّاً فقد عفا عن الجميع[٤] ذلك إنّه كان يدرك أنَّ قتل هؤلاء القادة وقتل أهل البصرة

---

(١) ويقال: إنه قتل من جيش الإمام خمسة آلاف ومن جيش الجمل تسعة عشر ألفاً.

(٢) يبدو أنهن كنّ كما قال تعالى: (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث) سورة الأعراف/ الآية: ١٧٦.

(٣) بحار الأنوار / ج ٣٢ / ص ٢٧٣.

(٤) المصدر نفسه.

المحاربين[١] سيولد مضاعفات خطيرة في المستقبل وسيؤدّي قتلهم إلى ردّ فعل معاكس في المستقبل، فبدل أن تنطفئ الفتنة، تستمر الاضطرابات طوال حكومة الإمام علي ﷺ بل وبعدها أيضاً، إذ أنَّ لكل مقتول عشيرة وقبيلة أو على الأقل أقرباء وأصدقاء وهل يمكن أن يسكن أولئك إذا ما قتل الإمام أبناءهم؟ ولو سكتوا فإنَّما هو نار تحت الرَّماد ستتأجج يوماً ما ضدّ أتباع الإمام علي ﷺ.

وهكذا كان عفو الإمام ﷺ عنهم سبباً لكسب أهل البصرة إلى جانبه واطمئنانه من هذه الجهة.. وذلك ما فعله النَّبي ﷺ تماماً عند فتح مكّة حيث قال: اذهبوا فانتم الطّلقاء.. ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن و..وبذلك خضعت له قبائل قريش كلّها، وأليس هذا هو النّصر الحقيقي؟!

ومن موقف الإمام أمير المؤمنين هذا ومواقف الرّسول الأكرم ﷺ في مكّة وغيرها نستكشف أنَّ أيّة دولة أو حركة تريد الاستقرار والاستمرار فإنَّ عليها أن تتّبع سياسة اللاعنف..

## مناقب الجيش الفاتح:

ولنتأمل معاً القصة التَّالية لنرى كيف ربّى الإمام ﷺ جنوده على المناقب الرّفيعة، وكيف درّبهم على الأخلاقيات الإسلامية: فبعد أن وضعت حرب الجمل أوزارها نادى الإمام علي ﷺ : من وجد ماله فليأخذه. مع العلم أنَّ أموال البغاة (أي الخارجين على الإمام) يملكها المجاهدون..

وفي هذه الأثناء مرَّ رجل من أهل البصرة على مجموعة من المجاهدين كانوا يطبخون طعاماً في قدر له، فطلب الرجل القدر منهم، فقالوا له أن لو انتظر حتى ينضج الطّعام ثم يعطونه القدر، ولكن الرجل ضرب القدر برجله ثم أخذه وذهب ولم يتفوّه أحد من هؤلاء المجاهدين ـ وهم الجيش الفاتح ـ بكلمة اعتراض تجاه هذا التّصرّف الوقح الذي يصدر من أحد أفراد الجيش المنهزم[٢].

## ثانياً: معركة صفين

بعد حوالي شهرين من انتهاء معركة (الجمل) بدأ الإمام علي ﷺ بالإعداد لحرب معاوية.. ففي أوَّل رجب سنة ٣٦ هـ بدأ الإمام ﷺ بتهيئة المقدّمات وبالتّعبئة العامة.. وفي اليوم الخامس من شعبان توجّه جيش الإمام ﷺ من

(١) كان للإمام –عليه السلام– الحق في قتلهم وسبي ذراريهم ونسائهم على الخصوص، رغم كونهم بغاة، وقد استفاضت بذلك النصوص. راجع الجواهر/ ج٢١/ ص٣٣٥.
(٢) بحار الأنوار/ ج٨ / ص٣٤١.

النّخيلة نحو الشّام ووصل جيشه ﷺ إلى صفين في أواخر ذي الحجة[١]، وعندما سمع معاوية النبأ صعد على المنبر وتكلّم بكلام طويل تناول فيه قصّة مقتل عثمان وأنَّ عليّاً هو قاتله وأنَّه ـ أي معاوية ـ هو وارث دم عثمان.. الخ، ثم وفي آخر خطاب ألقاه أمر بالمجيء بثوب ملطّخ بالدّماء ادّعى أنَّه الثَّوب الذي قتل فيه عثمان.. وبذلك أثار معاوية حماسة أهل الشام.. وبدأ معاوية بتهيئة الجيش.. وتحرّك بجيشه نحو صفين وفي أوائل محرم وصل معاوية إلى صِفِّين[٢] وعسكر هناك مقابل جيش الإمام.. وابتدأت الحرب خفيفة باردة.. واستمرّت الحرب الباردة بين الطَّرفين من شهر رجب عام ٣٦ إلى شهر صفر عام ٣٧ هـ.. وخلال هذه الأشهر السّبعة كانت تحدث مناوشات صغيرة بين الجيشين.. إلا أنّها لم تكن تستحق اسم (الحرب) والسَّبب في ذلك هو:

أوَّلاً: محاولات كثيرة جرت من جانب الإمام علي ﷺ لكي يرد معاوية عن عزمه ولكي يرجع معاوية عن غيّه وغصبه للسلطة ويسلّم الحكم للإمام ﷺ، ودامت هذه المحاولات أكثر من ثلاثة أشهر[٣].

ثانياً: حيلولة الأشهر الحرم الثلاثة وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم.. دون الابتداء بالحرب.. وهكذا بعد محرّم في أوّل يوم من شهر صفر ابتدأت المعركة بين الجيشين.. بين جيش الإمام علي ﷺ وعدده خمسون ألف مقاتل وبين جيش معاوية الذي يربو على المائة والعشرين ألف (١٢٠/٠٠٠) بين فارس وراجل[٤]. وهو يربو على ضِعف عدد جيش الإمام[٥] ﷺ.. ولكن الفرق هو أنَّ جيش الإمام ﷺ كان يحارب مدافعاً عن الحق وكلّه شوق إلى الشَّهادة، بينما جيش معاوية كان يحارب رغبة في الحياة، واشتدّت المعركة.. وتساقط القتلى من الجانبين..

## عمليات تضحية

وقد أبدى أصحاب الإمام ﷺ وجنوده تضحيات كبيرة، في حرب صفين وكادت هذه التّضحيات أن تقضي على معاوية:

١: في السابع من صفر ٣٦ هـ صمّم مالك بن جرير (وكان من أصحاب الرسول ﷺ) مع مجموعة من فدائيي قبيلة «بني تميم» صمموا على اختراق جيش الشام والوصول إلى مقر معاوية وعلى الرغم من كلِّ المصاعب الناتئة

(١) بحار الأنوار/ ج٨ / ص٤٧٥.
(٢) المصدر نفسه/ ج٨/ ص٤٧٤.
(٣) المصدر نفسه/ ج٨ / ص٤٤٩.
(٤) المصدر نفسه/ ج٨ / ص٤٧٤.
(٥) المصدر نفسه/ ج٨ / ص٤٥٢.

في الطريق.. واخترق مالك صفوف جيش الشام.. وتقدم.. ولكن قبل أن يكمل مهمّته الرسالية كان قد وقع على الأرض، والدّماء تنزف من جسمه، واستشهد هناك.. في ساحة المعركة.

٢: وفي اليوم السابع أيضاً قال الإمام ﷺ لعبد الله بن بديل: «احمل عليهم الآن» ونفّذ ابن بديل الأمر فوراً.. توجّه نحو معاوية مع ميمنة الجيش، وأخذ بيديه سيفين وحمل درعين!.. وتقدم ابن بديل وتقدم، ووصل إلى مركز معاوية، وبلغت المعركة أقصى درجات العنف والشّدّة، وبدأ أصحاب معاوية يتساقطون واحداً بعد الآخر.. كان موقف معاوية حرجاً جدّاً.. أرسل إلى حبيب ابن مسلمة الفهري.. أمير الميسرة ـ يستنجد به ويأمره بالدّفاع.. وألقى ابن مسلمة الفهري بكل ثقله في الميدان ولكن.. استطاع ابن بديل اختراق صفوفهم، وتقدّم نحو معاوية.. وتراجع معاوية إلى الخلف وتراجع.

طلب معاوية من ابن مسلمة الفهري تجميع قواه والقيام بهجوم كاسح على ابن بديل وعلى ميمنة أهل العراق.. استجمع ابن مسلمة قواه ولملم فلول جيشه، ودارت معركة طاحنة.. قتل من جيش ابن بديل الكثير ولم يبقَ معه سوى مائة شخص!!

صمّم ابن بديل على التّقدّم وقتل معاوية ـ رأس الأفعى ـ رغم كل شيء.. وبعزيمة المؤمن وإيمان المحارب بدأ ابن بديل يقاتل مع جماعته، ووصل قرب معاوية، من جديد صاح معاوية: «ويلكم! الصخرة والحجارة، إذا عجزتم عن السّلاح».. كان الإنهاك قد بلغ بأصحاب معاوية كل مبلغ.. لم يعودوا يستطيعون حمل السّلاح، والحرب.. رضخوه بالحجارة.. تساقطت الأحجار عليه كالمطر، وسقط عن فرسه ودماءه الحمراء الفانية تسيل من جسده.. تقدّموا نحوه.. وتناوشته سيوفهم وبعد دقائق كان عبد الله بن بديل قد أصبح في عداد الشّهداء[١].

٣: قرّرت قبيلة «ربيعة» القضاء على رأس الفساد «معاوية».. اجتمع منهم سبعة آلاف محارب وتبايعوا على أن لا يرجعوا حتى يردّوا سرداق (خيمة) معاوية.. قاتلوا قتالاً شديداً، وبدأت جيوش معاوية تتراجع إلى الخلف، وتقدّمت ربيعة. ومن مقرّه في وسط الجيش رأى معاوية «ربيعة»!.. اتخذ معاوية قراراً جريئاً!!.. كان قراره هو الهرب!!.. فرّ معاوية من سرداقه في وسط الجيش حتى وصل إلى آخر الجيش.

وصلت ربيعة إلى سرداق معاوية ومقرّ قيادة القوّات المعادية واحتلّت المقر ولكن.. كان الفأر قد هرب من صيّاده![٢].. وبين ربيعة ومعاوية عشرات الألوف من الجيوش.. ورجعت ربيعة إلى مقرّها مسجّلة انتصاراً معنوياً

(١) بحار الأنوار/ ج٨/ ص٤٥٣.
(٢) انظر بحار الأنوار/ ج٨/ ص٤٥٦.

ساحقاً على معاوية، بعد أن ألصقت في جيشه بصمة العار إلى الأبد.

٤: هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص كان يشنّ حملات فدائيّة رائعة على جيش الشّام[١].. وفي كلّ مرّة كان هدفه: الوصول إلى مركز معاوية والقضاء عليه، إلّا أنَّه لم يستطع ذلك.. وفي كلّ مرّة يهاجم فيها هاشم بن عتبة جيش الشام كان معاوية يرتعد من الخوف ويصيح في جنوده منبهاً لهم بمجيئه قائلاً «أعور بني زهرة، قاتله الله».. وأخيراً اتخذ هاشم في الحملة الأخيرة قراراً خطيراً: إمَّا الاستشهاد، وإما القضاء على معاوية!.. وشقّ هاشم جيش الشام مع ألف فارس.. وتقدّم واستمرّ في تقدّمه.. واشتعلت نار الحرب حامية دامية بينه وبين أصحابه من جهة وبين الألوف من جيش معاوية من جهة أخرى..

فلم تعد تخيفه الدماء الحمراء التي كانت تطوّقه من كلِّ جانب، ولم يعد يخيفه شبح الموت الذي يرفرف عليه.. وتقدّم هاشم.. وتقدّم ووصل إلى مقرّ معاوية.. واحتلّ الأطراف المحيطة به.. واقتربت ساعة الصّفر!! ولكن.. في اللحظات الأخيرة أصابته حربة غادرة.. سقط على الأرض، ومعه أصحابه.. واستشهد هناك.

## هؤلاء دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه

في هذه المعركة الرّهيبة.. استشهد مجموعة من خيرة أصحاب الإمام علي عليه السلام.. ومن طليعة المجاهدين في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وفي عهد الإمام عليه السلام.. كان من بين هؤلاء الشهداء:

١: عمار بن ياسر ـ الذي قال الرسول صلى الله عليه وآله فيه «**الحق مع عمار يدور معه حيثما دار**»[٢] ـ كان أبان الحرب يبلغ التّسعين من العمر.. كان ظهره منحنياً، وكان يلف حزاماً على ظهره، ومع ذلك يحارب كالأسود الضَّارية، يقول عبد الرحمن السلمي: (شهدت صفين مع علي عليه السلام فنظرت إلى عمار بن ياسر وقد حمل فأبلي وانصرف وقد انثنى سيفه من الضّرب)![٣] وطوال عدّة أشهر من الحرب لم يصل عمّار إلى هدفه، إلى ما يعشقه.. إلى الشهادة..

وفي سنة ٣٧ هـ.. قرَّر عمَّار الشَّهادة وخرج نحو المعركة بكامل أسلحته. واشتدّت المعركة واشتدّت، وبلغت الذّروة.. وعمّار مستمر في الحرب، واستطاع عمار قتل ثمانية عشر شخصاً في سويعات قليلة[٤]. وفجأة هجم عليه (أبو العادية الفزاري) وضربه بالرّمح على جنبه وسقط عمّار على الأرض ليدخل التاريخ من أوسع أبوابه ـ باب

(١) بعض هذه الحملات مذكورة في بحار الأنوار/ ج٨ / ص٤٥١.
(٢) بحار الأنوار/ ج٣٠ / ص٣٧٢.
(٣) دعائم الإسلام/ ج١ / ص٣٩٢، جواهر الكلام/ ج٢١/ ص٣٢٧.
(٤) بحار الأنوار/ ج٨/ ص٤٨٧.

الشَّهادة..

٢: أويس القرني.. كان يقضي أيَّامه في الصَّحراء موزّعاً أوقاته بين الرّعي والعبادة، لذلك لم يكن قد رآه أحد إلَّا القليل جداً.. وفجأة ظهر في تلك الليلة.. التي طلب الإمام علي ﷺ فيها مائة شخص من جنوده يبايعونه على الموت.. تقدَّم الجنود واحداً بعد آخر ووصل العدد إلى تسعة وتسعين شخصاً كلّهم بايعوه على الموت، وفجأة ظهر أويس وبايع الإمام ﷺ.. وقامت المجموعة بحملة قاسية على جيش معاوية، كان أويس خلالها يُشوّق المجموعة على الجهاد والتّقدّم وهو يحمل سيفين!![1] وبعد ساعة كان يقع على الأرض شهيداً وقد اخترق أحد السّهام قلبه!.

وكذلك استشهد مالك بن تيهان الأنصاري وعمرو بن محصن الأنصاري ومجموعة أخرى من خيرة أصحاب الإمام أمير المؤمنين ﷺ من جملتهم «بكر بن هوذة النّخعي» وابنه «حيان» و«أبان بن قيس» و«عمير بن عبيد المحاربي»[2] وغيرهم.

## اقترب النّصر ولكن..؟

مضت أربعة عشر شهراً على بدء الحرب.. والمعركة لا تزال مستمرّة.. بدأ الملل يسري قليلاً قليلاً إلى جيش الإمام ﷺ.. وبدأ الحنين إلى الوطن، والرّاحة، والسّكون يعاود الجنود.. اجتمع أمراء الجيش بالإمام ﷺ وبعد اجتماع خطير هامّ قرّروا إنهاء المعركة والقضاء على معاوية وجيشه في معركة واحدة نهائية.. التحم الجيشان في معركة حامية.. واستمرّت المعركة حتى الليل.. لم تتوقّف الحرب.. لقد صمّم الإمام ﷺ وجنوده على الحرب حتى القضاء على معاوية.. واقترب أذان الفجر ولا تزال الحرب مستمرّة.. كانت تلك الليلة هي ليلة الحادي عشر من صفر.. ومع تباشير الصّباح كان جيش معاوية يتراجع إلى الخلف.. ومالك الأشتر ـ قائد قوّات الإمام ﷺ ـ كان يقوم بحملات شديدة مركّزة على جيش الشام.. ويهاجم جيوش معاوية المتراجعة.. وتلك كانت (ليلة الهرير) وقد قتل الإمام ﷺ في هذه الليلة ٥٢٣ شخصاً بنفسه[3] وبلغ مجموع القتلى من الجانبين ـ في تلك الليلة ـ سبعين ألف قتيل[4].

ساعات قليلة كان يفتقدها مالك الأشتر.. ساعات قليلة أخرى من الحرب كانت تعني الهزيمة السّاحقة لجيوش معاوية والنّصر التّام لجيوش الإمام ﷺ.. فكّر معاوية في (الخدعة).. أرسل خمسمائة فارس غير مسلّح وبأيديهم رماح طويلة، على كل رمح نسخة من القرآن الكريم.. وتقدّم فرسان جيش الشام ووقفوا بين الجيشين وهم يصرخون

(١) بحار الأنوار/ ج٨/ ص٤٧٦.
(٢) المصدر نفسه/ ج٨/ ص٤٧٦.
(٣) المصدر نفسه/ ج٨/ ص٤٨٠.
(٤) المصدر نفسه/ ج٨/ ص٤٦٥.

(... الله الله في دينكم، هذا كتاب الله بيننا وبينكم) ـ أي أوقفوا الحرب واجعلوا القرآن حكماً ـ ولكن صاح مالك الأشتر في جيش الإمام: لا تنخدعوا فالقرآن الناطق هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وهو يأمركم بالحرب.. وبعد ذلك هاجم الأشتر جيش الشام..

ولكن ارتفع صوت المعارضة من الأشعث بن قيس.. أغمد سيفه وصاح في الجيش:

اتركوا الحرب، كتاب الله بيننا وبينهم..

وتبعه مجموعة من الأشخاص الذين أتعبتهم الحرب إلّا أنّهم لم يكونوا كثرة تؤثر في الجيش.. رأى الأشعث فشله في التّخريب فقام وألقى خطابة بليغة حول الوحدة والتّحاكم للقرآن.. الخ..

أثّرت خطابته في الجيش.. فالإنهاك من جهة، والتّقدس الزّائف من جهة أخرى، وتحريكات الأشعث وجماعته من جهة ثالثة أثّرت في قسم كبير من الجيش..

وفجأة.. رأى الإمام ﷺ قسماً كبيراً من جيشه ينسحب من المعركة.. عشرون ألف شخص مقنعين بالحديد وبأيديهم السّيوف، وقد اسودّت جباههم من كثرة السّجود.. عشرين ألف انسحبوا من المعركة[1] وجاءوا للإمام قائلين: (يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم).

فأجابهم الإمام ﷺ « ويحكم.. أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله، وأوّل من أجاب.. ولكني قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون»[2].

ولم ينفعهم كلام الإمام.. أجبروه ﷺ على أمر مالك الأشتر ـ الذي كان على شرف النّصر ـ[3] بالانسحاب..

وانسحب مالك الأشتر، وتوقّفت الحرب، وتقرّر انتخاب حَكَمَين، انتخب معاوية: عمرو بن العاص، وانتخب الإمام علي ﷺ عبد الله بن عباس.. رفض الأشعث وجماعته ذلك وأصرّوا على انتخاب أبو موسى الأشعري وقالوا.. إنّا لا نرضى إلّا به فإنّه قد كان حذرنا مما وقعنا فيه..

فقال الإمام ﷺ: «فإنّه ليس لي برضا، وقد فارقني وخذل الناس عنّي، وهرب منّي حتى أمنته قبل أشهر، ولكن هذا ابن عبّاس أوليه ذلك».

---

(١) بحار الأنوار/ ج٨/ ص٤٦٦.

(٢) المصدر نفسه/ ج٨/ ص٤٦٦.

(٣) المصدر نفسه/ ج٨/ ص٤٦٦.

ولكن رفض ابن الأشعث وجماعته ذلك وأصرّوا على رأيهم.. وتحت الضّغط اضطرّ الإمام ﷺ إلى القبول[١] إذ أنَّ أكثر الجيش كان مؤيّداً للأشعث.

## الخدعة الماكرة

توجّه أبو موسى نحو (دومة الجندل) مع أربعمائة فارس؛ ليتحاكم هناك مع عمرو بن العاص ولكي يحكما بين الفريقين بآيات القرآن..

عندما وصل أبو موسى الأشعري كان عمرو بن العاص قد سبقه إلى (دومة الجندل) بأسبوع.. استقبل عمرو بن العاص أبا موسى من مسافة ستة كيلومترات وعانقه وقبّله.. وطوال الأيّام التّالية استعمل معه سياسة الاحترام الفائق في جميع المجالات، وبذلك كسب ودّ أبا موسى الأشعري وثقته.. حذّر ابن عباس ـ المستشار الخاص لأبي موسى ـ أبا موسى عدّة مرّات من انخداعه بما يبديه عمرو من حبّ واحترام.. لكن لم ينفع ذلك.. وابتدأت المناقشات والمشاورات بين الطَّرفين، وانفرد عمرو بن العاص بأبي موسى واقترح عليه اقتراحاً ماكراً، قال له: يا أبا موسى، يا أشرف أصحاب الرّسول!! لي اقتراح.. هو أن أخلع أنا معاوية وتخلع أنت عليّاً ثمّ ننصب عبد الله بن عمر خليفة، أو ندع الأمر شورى بين المسلمين؟!..

وقبل أبو موسى الاقتراح، واجتمع الجيشان وتكلّم أبو موسى قائلاً: بعد مقدِّمة طويلة حول حقن الدِّماء: (... وقد خلعت عليّاً كما خلعت عمامتي هذه) وانتهى كلام أبي موسى بين فرح أهل الشّام، واعتراض أهل العراق... وجاء الدّور إلى عمرو بن العاص وتكلّم عمرو وبدل أن يخلع هو بدوره أيضاً معاوية حسب الاتفاق.. قال: (أيّها الناس إنَّ أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع عليّاً، وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب، وهو أعلم به.. ألا وإنِّي خلعت عليّاً وأثبت معاوية عليّ وعليكم).. حدث ذلك بين صرخات الاستنكار التي صدرت من أهل العراق.. قرَّر العراقيون قتل الاثنين ـ عمرو بن العاص وأبا موسى ـ.. ولكن هرب أبو موسى إلى مكّة، وعاد عمرو بن العاص إلى دمشق تحت حماية جيش الشّام.. وعاد أمراء جيش الإمام إلى الكوفة[٢] وأخبروه بالقصة وأقسموا على الحرب مع معاوية من جديد.. وبدأ الإمام ﷺ بتهيئة النّفوس للحرب عبر الخطب المتوالية.. وبعد مدّة استعد الناس للحرب.. ولكن.

(١) بحار الأنوار/ ج٨/ ص٢٦٧.

(٢) لأنَّ الإمام -عليه السلام- غادر صفين بعد التّحكيم إلى الكوفة.

## ثالثاً: معركة النّهروان.

في بداية سنة ٣٨ للهجرة توجّه الإمام ﷺ نحو (النّخيلة) وقد عسكر فيها عشرون ألف مجاهد وخلف الإمام (هاني النّخعي) على الكوفة وأمر عبد الله بن عباس ـ واليه على البصرة ـ بتجهيز جيش من البصرة للتحرّك نحو الشّام.. وفجأة وصلت إلى الإمام ﷺ أخبار تنبؤه بحدوث اضطرابات في الكوفة، فقد اجتمع أربعة آلاف من «الخوارج» وقرّروا محاربة الإمام تحت شعار: «لا حكم إلّا لله» وانضمّ إليهم ثمانية آلاف آخرين من الكوفة والبصرة وغيرها..

أرسل الإمام ﷺ رسالة إلى عبد الله بن وهب الرّاسبي ـ قائد الخوارج ـ يدعوه إلى الالتحاق به لحرب معاوية بدل إثارة الفتنة، وأرسل الإمام ﷺ مندوبين من قبله من جملتهم عبد الله بن عباس وصعصعة بن صوحان إلى الخوارج لكي يعودوا، ولكن لم ينفع ذلك كله.

وأخيراً.. تحرّك الخوارج نحو (النّهروان) وتمركزوا هناك.. واضطرّ الإمام ﷺ للتوجّه نحو النّهروان بدل التّوجّه نحو الشّام.. واصطفّ الجيشان وأرسل الإمام ﷺ عبد الله بن عباس ليتكلّم معهم.. وبعد حوار قصير طلب عبد الله بن وهب الإمام نفسه لكي يتكلّم معه.. تقدّم الإمام ﷺ وطرح ابن وهب الرّاسبي اشكالات عدّة على الإمام ﷺ من جملتها: لماذا قبلت التّحكيم؟.. وأجاب الإمام ﷺ عن أسئلتهم بإجابات مقنعة وحلل ما جرى في قصّة التّحكيم.. وعند ذلك ارتفعت من معسكر الخوارج أصوات تنادي: «التّوبة.. التّوبة يا أمير المؤمنين» أي إنّهم طلبوا من الإمام أن يصفح عنهم ويتوب عليهم.. والتحق بجيش الإمام ثمانية آلاف من الخوارج!![1] ولم يبقَ منهم سوى أربعة آلاف..

وفي هذه المعركة أيضاً اتبع الإمام ﷺ نفس الخطّة التي اتبعها في «الجمل» و«صفين» فقد دعا الإمام شخصاً لكي يأخذ المصحف ويدعو القوم إليه، فقام شاب حديث السّنّ.. وقبل المهمّة وذهب ودعاهم إلى القرآن الكريم.. ولكن رجع بعد قليل ووجهه كالقنفذ من كثرة السّهام التي رماها عليه الخوارج.. واستشهد بعد قليل.. وقد ساعدت هذه الخطّة كثيراً في إزالة الشّكّ في مشروعية قتال الخوارج.. هذا الشّكّ الذي تولّد عند بعض أصحاب الإمام ﷺ عندما رأوا أنّ الخوارج يقرؤون القرآن ووجوههم مسودّة من كثرة السّجود[2] واستعرت المعركة حامية.. كان الخوارج فيها قد يئسوا من الحياة، فهم يحاربون حرب من يريد التّخلّص من الدّنيا.. فقد ضعفت معنوياتهم إلى درجة كبيرة بالتحاق ثلثيهم بجيش الإمام ﷺ..

وخلال ساعة قتل ٣٩٩١ من جيش الخوارج ولم يبقَ منهم سوى تسعة أنفار هربوا إلى أماكن متفرّقة..

بينما لم يقتل من جيش الإمام سوى تسعة أنفار[3].. وانتهت المعركة..

(١) بحار الأنوار/ ج٨/ ص٥٦٣.
(٢) المصدر نفسه/ ج٨/ ص٥٦٢.
(٣) المصدر نفسه/ ج٨/ ص٥٦٣.

# زيد بن صُوحان
## نموذج الوفاء والولاء

محمد رضا الأسدي

الرسول الكريم محمد -صلى الله عليه وآله- وأهل بيته الكرام-صلوات الله عليهم- هم فخر الأمة، وأشرف الخلق أجمعين، وسادة الورى والعروة الوثقى، فقد ملكوا القلوب بخلقهم وورعهم وزهدهم وتقواهم وبرسالتهم الحقة، إذ اجتباهم الله -تعالى- وفضّلهم على العالمين وجعلهم الطريق إليه والسبيل إلى رضوانه، فمن تعلق بهم وسار على خطاهم، وتمسّك بعروتهم فقد فاز بنعيم الدّنيا والآخرة وصار له الجاه الكبير بين النَّاس والسّمعة الطيبة بجدارة الولاء والوفاء لآل بيت العصمة -صلوات الله عليهم أجمعين-، ويسجّل لنا التاريخ نسائم الحب والطاعة من قبل مجموعة طيبة من الأصحاب الصّادقين بإسلامهم واتباعهم لنبيهم وإمامهم، فقد استطاعوا أنْ يغيِّروا مسار بعض الأحداث، بمواقفهم الإنسانيَّة النَّبيلة، وإيمانهم الصّادق، فقد كان ذلك سببًا لخلودهم، وضربوا للأجيال مثلًا واضحًا.

واعتزازاً بأولئك العظام، وما كان منهم من مواقف مُشرِّفة في نُصرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتخليداً لمقاماتهم الشَّامخة، نذكر شيئًا يسيرًا عن أحد أولئك الأبرار وهو (زيد بن صوحان العبدي)، الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**من سرَّه أنْ ينظُر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظُر إلى زيد بن صوحان**»[١]، وقد تحقّق قول النبي ﷺ عندما قُطعتْ يد زيد في معركة جلولاء، وكان هذا الحديث من مبشِّرات النبي ﷺ بدخول زيد بن صوحان الجنة.

وقال الإمام الباقرعليه السلام: « شهد مع علي بن أبي طالبعليه السلام من التابعين ثلاثة نفر بصفّين شهد لهم رسول اللهﷺ بالجنّة ولم يرهم: أويس القَرني وزيد بن صوحان العبدي وجُندب الخير الأزدي رحمة الله عليهم».[٢]

## اسمه ونسبه:

جاء في طبقات ابن سعد في ترجمة زيد أنَّه زيد بن صوحان بن الحارث بن الهجرس ابن صبرة بن خدرجان بن عساس بن ليث بن حداد بن ظالم بن دحل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن أفصي بن دعمي بن جذيعة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. ويذكر بعض المؤرّخين بأنَّه قد ولد لصوحان أربعة أولاد هم: زيد وعبدالله وسيحان وصعصعة، غير أنَّ الباحث محمد جواد مرهون يرجّح أنَّ سيحان هو نفسه عبدالله.[٣]

ومهما يكن فإنَّ اللذين لا يُختلَف في جهادهما وثباتهما وفضلهما وفصاحتهما زيد وأخوه صعصعة ابنا صوحان.. العبدي ( نسبة إلى قبيلتهم عبد القيس من أكبر القبائل التي استوطنت البحرين ).

## بنو عبد القيس

بنو عبد القيس عرفوا بالفصاحة والبلاغة والشَّجاعة في الجاهلية والإسلام.

ومن أقوال الرسول ﷺ فيهم أنّه قال عند قرب وصولهم إلى وفادته لمبايعته بالإسلام:

« سيطلع عليكم من ها هنا رَكْب هم خير أهل المشرق»، وقال عند قدومهم: « مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى « ودعا لهم قائلاً: "اللَّهم اغفر لعبد القيس"، وأوصى الأنصار بهم فقال: "يا معشر الأنصار، أكرموا إخوانكم فإنَّهم أشبه الناس بكم في الإسلام، أسلموا طائعين غير مكرهين ولا موتورين".[٤]

---

(١) أنظر دلائل النبوة للبيهقي/ ج ٦/ ص ٤١٦.

(٢) الاختصاص، الشيخ المفيد / ص٨٢.

(٣) مروج الذهب/ ج ٣/ ص ٤٦ – ٤٧

(٤) البداية والنهاية/ ج٥/ ص٤٧. .كنز العمال، المتقي الهندي / ج١٢/ ص٦٤. واعيان الشيعة :السيد محسن الأميني / ج١/ ص٢٤٢

فمن هؤلاء القوم كان أبناء صوحان وعلى رأسهم زيد وصعصعة. وقد شهد التاريخ لأسرة آل صوحان في تفانيهم من أجل إعزاز الإسلام، والدّفاع عنه بالكلمة وبالنّفس، فنالوا أعلى المراتب وحققوا أعلى الدرجات.

فقد أدرك زيد بن صوحان عهد النّبوّة ومن الذين صاحبوا النبيّ ﷺ، وكانت له مواقف مشرّفة تشهد على حسن بلائه. وكان زيد ثقة حتى أنَّ الصحابي الجليل سلمان المحمدي كان يأمره بأن يؤم المسلمين، ويجعله خطيبًا لهم يوم الجمعة[١].

## مواقف مشرفة

وقد كانتْ لزيد مواقف مُشرِّفة ظهر فيها معدنه الأصيل، وإيمانه الحقيقي، فقُبيل معركة الجمل كتبتْ له عائشة كتاباً جاء فيه: «من عائشة ابنة أبي بكر إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أمّا بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل، فخذِّل الناس عن علي»، فكتب إليها: «من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر أمّا بعد، فأنا ابنك الخالص إن اعتزلتِ هذا الأمر ورجعتِ إلى بيتك وإلَّا فأنا أوَّل من نابذك»[٢]، وفي موقف آخر له، كان زيد بن صوحان يستنهض أهل الكوفة، وكان والي الكوفة أبو موسى الأشعري يُثبِّط الناس عن نُصرة الإمام علي ﷺ، فقام إليه زيد بن صوحان، وقال له: "دع عنك ما لستَ تدركه"، ثُمَّ قرأ زيد قوله تعالى: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)[٣] ثُمَّ نادى: "سيروا إلى أمير المؤمنين، وصراط سيّد المرسلين، وانفروا إليه أجمعين، تصيبوا الحق راشدين".[٤]

وشَهِدَ زيد بن صُوحان معركة الجمل مع الإمام أمير المؤمنين ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين ما أراني إلَّا مقتولاً، قال: وما أعلمك بذلك يا أبا سلمان ؟! قال زيد: إنِّي قد رأيتُ يداً خرجتْ من السّماء تصيح إليَّ أن تعال، وأنا لاحق بها يا أمير، فلمَّا أُصيب زيدٌ يوم الجمل، أتاه علي ﷺ وبه رمق، فوقف عليه وهو يتألّم لِما به، فقال: «رحمك الله يا زيد فو الله ما عرفتك إلَّا خفيف المؤنة كثير المعونة»، فرفع رأسه وقال: «وأنت مولاي يرحمك الله فو الله ما عرفتك إلَّا بالله عالماً وبآياته عارفاً، والله ما قاتلتُ معك من جهل، ولكنِّي سمعتُ حُذيفة بن اليمان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، ومخذول من خذله، أَلَا وإنَّ الحقَّ معه ويتبعه، أَلَا فميلوا معه»،[٥] وقد حزن أمير المؤمنين ﷺ على فقدانه زيد ومن استشهد معه، وقد ذكر المسعودي ذلك في مروجه في ج٢، ص٣٦٩ إذ يقول: «واشتد حزن علي على من قتل من ربيعه وجدد حزنه قتلُ زيد بن صوحان العبدي».

---

(١) ينظر: طبقات ابن سعد/ ج٦/ ١٢٤.

(٢) تاريخ الطبري/ ج٤/ ٤٧٦.

(٣) سورة العنكبوت/ الآية:٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد/ ج٦/ ص ٢٢٧.

(٥) الخوارزمي في المناقب/ ١١١.

## صفاته وورعه

كان -رضوان الله عليه- خطيبًا مصقعًا ووفي من الأوفياء، وشجاعًا ثابت الخطى وكان لساناً ناطقاً معبّرًا في الدّفاع عن أمير المؤمنين ﷺ، وكان له باعٌ في دعمه وحمايته .

- جاء في الخبر أنَّ ابن عباس سأل صعصعة بن صوحان أخو زيد قال له أين أخوك منك فقال كان والله يا ابن عباس عظيم المروءة، شريف الأخوة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميش العروة، أليف البدوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الدَّهر، ذاكراً الله طرفَي النَّهار وزُلَفاً من الليل، الجوع والشبع عنده سيان، لا ينافس في الدنيا، وأقل أصحابه من يُنَافس فيها، يطيل السكوت، ويحفظ الكلام، وإن نطق نطق بعُقام، يهرب منه الدُّعَّار الأشرار، ويألفه الأحرار الأخيار، فقال ابن عباس: ما ظنك برجل من أهل الجنة، رحم الله زيداً.[1]

وكان زيد خطيبًا عالمًا بليغًا، فقد عدّه الجاحظ مع إخوانه صعصعة وسيحان من خطباء قيس المشهورين ولقد وصفهم عقيل بن أبي طالب بخير وصف حين قال له معاوية:

ميز لي أصحاب علي وأبدأ بآل صوحان فإنَّهم مخاريق الكلام:

فقال: أما صعصعة فعظيم الشَّأن عضب اللسان قائد فرسان قاتل أقران يرتق ما فتق ويفتق ما رتق، قليل النَّظر وأما زيد وعبد الله فإنَّهما نهران جاريان يصب فيهما الخلجان، ويغاث بهما البلدان، رجلاً جدلاً لعب منه، وأما بنو صوحان كما قال الشّاعر:

إذا نـــزل الـــعـــدو فـــإنَّ عـنـدي أســـــود تخـلـس الأســـــد الـنّـفـوسـا

## شِدَّة ولائه لإمامه ومقارعته للباطل

عن أبي عبد الله ﷺ قال: لما صرع زيد بن صوحان -رحمة الله عليه- يوم الجمل جاء أمير المؤمنين ﷺ حتى جلس عند رأسه فقال: رحمك الله يا زيد قد كنت خفيف المؤنة عظيم المعونة. قال فرفع زيد رأسه إليه ثم قال: وأنت فجزاك الله خيرًا يا أمير المؤمنين فوالله ما علمتك إلا بالله عليمًا وفي أمّ الكتاب عليًّا حكيمًا وإنَّ الله في صدرك لعظيم، والله ما قتلت معك على جهالة ولكنِّي سمعت أمّ سلمة زوج النبي تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من كنت مولاه

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأميني / ج٧/ ص١٠٢.

فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله " فكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله.[١]

ومما ذكر عن طريف بن عيسى الغنوي، أنَّ زيد بن صوحان خطب في مسجد الكوفة قائلاً: "سيروا إلى أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وأوّل المؤمنين إيمانًا "[٢]

## زيد يسأل أمير المؤمنين عليه السلام:

كان زيد من أصحاب وطلّاب الإمام علي عليه السلام في مدرسة الفكر والأخلاق، فقد كان ممن يسألونه ويستفتونه، فقد روي أنَّ زيد بن صوحان قام وقال للإمام علي عليه السلام سائلاً:

- يا أمير المؤمنين أي سلطان أغلب وأقوى؟
- قال عليه السلام: الهوى.
- قال: فأي ذل أذل؟
- قال عليه السلام: الحرص على الدنيا.
- قال: فأي فقر أشد؟
- قال عليه السلام: الكفر بعد الإيمان.
- قال: فأي دعوة أضل؟
- قال عليه السلام: الداعي بما لا يكون.
- قال: فأي عمل أفضل؟
- قال عليه السلام: التقوى.
- قال: فأي عمل أنجح؟
- قال عليه السلام: طلب ما عند الله.

---

(١) الاختصاص الشيخ المفيد/ ص٧٩.
(٢) بحار الانوار / ج ٣٢ / ص١١٩.

- قال: فأي صاحبك أشر؟
- قال ﷺ: المزين لك معصية الله.
- قال: فأي الخلق أقوى؟
- قال ﷺ: الحليم.
- قال: فأي الخلق أشقى؟
- قال ﷺ: من باع دينه برضا غيره.
- قال: فأي الخلق أشح؟
- قال ﷺ: من أخذ المال من غير حله فجعله في غير محله.
- قال: فأي الناس أكيس؟
- قال ﷺ: من أبصر رشده من غيه فمال الى رشده.
- قال: فمن أحلم الناس؟
- قال ﷺ: الذي لا يغضب.
- قال: فأي الناس أثبت رأيا ؟
- قال ﷺ: من لم يغره الناس من نفسه ولم تغره الدنيا بشهوتها.
- قال: فأي الناس أحمق؟
- قال ﷺ: المغتر بالدنيا وهو يرى ما فيها وتقلب أحوالها.
- قال: فأي الناس أشد حسرة؟
- قال ﷺ: الذي حرم الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.
- قال: فأي الخلق أعمى ؟
- قال ﷺ: الذي عمل لغير الله يطلب بعمله الثواب من الله تعالى.
- قال: فأي القنوع أفضل؟

- قال ﷺ: القانع بما أعطاه الله عز وجل.
- قال: فأي المصائب أشد؟
- قال ﷺ: المصيبة في الدين.
- قال: فأي الأعمال أحب الى الله عز وجل؟
- قال ﷺ: انتظار الفرج [١].

والذي يتمعّن في هذه الأجوبة يجد منهاجًا للحياة، وطريقًا يوصله إلى السعادة في دار الدنيا والآخرة.

## زيد شهيد يوم الجمل:

استشهد زيد-رضوان الله عليه- في حرب الجمل سنة ٣٦ هـ.

## أقوال علمائنا في حقّه:

قال الشيخ الطوسي-قدس سره- فيه: "وكان من الأبدال[٢]" [٣]

وقال السيّد الخوئي-قدس سره-: "يكفي في جلالة الرجل وعظمته مضافاً إلى شهادته بين يدي أمير المؤمنين ﷺ، شهادة الشيخ بأنّه من الأبدال"[٤] .

## مسجد زيد في الكوفة:

يقع مسجد زيد بن صُوحان ﷺ، على بُعد مئتي متر جنوب مسجد السّهلة، ويقال: أنَّه اتّخذ كوخاً ينعزل به في عبادته، وعلى هذا المكان.. مكان الكوخ شيّد مسجده باسمه، وهو المجاور لمسجد السّهلة المعظّم.

---

(١) بحار الأنوار/ ج ٧٤/ ص٣٧٨.

(٢) الأبدال: هم الأولياء والعُبّاد، الواحد بِدْل، سُمّوا بذلك لأنّهم كلّما مات واحد منهم أُبدل بآخر.

(٣) الخلاف/ الشيخ الطوسي/ ج٢/ ص٢٦٨.

(٤) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي/ ج٨/ ص٣٥٥.

وقد هُدّمت بناية المسجد الأصليّة القديمة في بداية القرن العشرين ثمّ شُيّدت من جديد عام ١٩٦٣ م، ثمّ ما لبثت أن تهدّمت فجُدّدت عمارتها مِن قِبل المؤمنين عام ١٩٧٥ هـ.

وبقي من عمارة المسجد الأُولى ثلاث قطع من المرمر الأبيض كُتب عليها أدعية وأذكار، واحدة من هذه القطع مؤرّخة سنة ١٣٣٢هجريّة.

والبناء الحالي للمسجد يحتل مساحةً قدرها ١٦٥ مترًا مربّعًا.

أما مرقده–رحمه الله– فإنه يقع على طريق قضاء أبي الخصيب (جنوب البصرة).

# سامراء
## بين الشّكر والكفر

حيدر فائق

إنَّ شكر المنعم من أوجب الفروض الإلهية ويتم ذلك بطرق عدَّة منها: المحافظة على النِّعمة، والخضوع للمنعم، وكسب رضاه –سبحانه–، وفي كثير من الأحيان تكون تلك النِّعمة مناط ابتلاء وامتحان وليعلم من يشكر ومن يكفر، ومن أبرز النِّعم والتي لا يشعر بها العبد إلَّا بعد أن يفقدها هي نعمة الأمان.

وما جرى على العراق خلال العقود الأخيرة هو المثال الأوضح لما تقدّم، وما حصل إلَّا نتيجة ابتعاد المجتمع عن شريعة السَّماء، ومسلك الأنبياء، وهدى الأولياء، فمن تخلّف عن النّهج القويم والصّراط المستقيم، ورسالة خاتم النّبيين وأوصياء المعصومين –صلوات الله عليهم أجمعين– ضلَّ الطريق، وورث الهوان والذّل، فإنَّهم سفن النَّجاة، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق وهوى**»[1].

إنَّ الله –سبحانه– أنعم على الأمة برسوله وآل بيته–صلوات الله عليهم– فالواجب شكر الله–تعالى– على نعمه فما دام الرسول الأعظم ﷺ بين ظهرانينا لا نعذب قال تعالى: (**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**)[2].

---

(١) الوسائل/ ج٢٧/ ص٣٤

(٢) سورة الأنفال/ الآية:٣٣

## إظهار النِّعم:

إنَّ الله -سبحانه وتعالى- يحب إذا أنعم نعمة أن يراها ظاهرة على عبده، لا يهينها أو ينتقص من قدرها.

ويزداد الأمر أهمّيّة كلَّما ازدادت النّعمة قيمةً بل إنَّ من النِّعم ما هو مقدَّس، أليس وجود ذات الرسول ﷺ نعمة مقدَّسة، ومن فوائد وجوده كما تقدَّم إحلال الأمن ودفع البلاء، ومن يتصفَّح التاريخ ينبهر بما حبا الله -سبحانه وتعالى- به أهل المدينة المنورة بعد أن نزلها الرسول الأعظم ﷺ وما حلّ بها بعد أن ضيَّع أهلها امتداد الرّسول ﷺ، المتمثِّل بآله المعصومين عليهم السلام وتخلّفهم عن نصرتهم، ومن أبرز العقوبات التي حلّت بهم أنَّهم ورثوا الذّلّ عندما أبيحت المدينة في عهد يزيد بن معاوية فسفكت الدماء وهتكت الأعراض وحدث ما حدث.

## نعمة أهل البيت عليهم السلام:

خلفاء الرَّسول ﷺ المعصومون هم الامتداد الطَّبيعي بالجعل والتَّنصيب الإلهي للوجود المقدَّس للرسول الخاتم ﷺ، وبموالاتهم تمَّت النِّعمة واكتملت الشَّريعة، ولهم الولاية العظمى والنِّعمة الكبرى على أهل الأرض، هم الأمان الذي لا ينبغي الغفلة عنه، قال رسول الله ﷺ: «**النُّجوم أمان لأهل السَّماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب آل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون**»[1].

ولعمري إنَّ في قوله ﷺ أهل الأرض أي جميع أهلها مسلميها وغيرهم بل كل ما عليها فأهل البيت -سلام الله عليهم- لجميع النَّاس شرط معرفة فضلهم ومكانتهم والاستفادة منهم وهم الشّهداء الذين عند ربهم يرزقون، نؤمن بأنَّهم يسمعون الكلام ويردّون السَّلام.

## سامراء والنِّعمة الإلهية:

قال الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: « **قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين**»[2].

إنَّ من أكبر النِّعم الإلهية على أهل الأرض عموماً ولأهل سامراء على وجه الخصوص الوجود المبارك للضريح المقدَّس للإمامين الهمامين الهادي والعسكري -صلوات الله عليهما وعلى آبائهم-.

فالواجب كما تقدَّم إبداء شكر المنعم ومعرفه حقهما وعدم الرضا بالإهانة العظمى التي ارتكبت بحق مرقدهما الطَّاهر، فإنَّ الرَّاضي بفعل قوم مشارك لهم فيه وبخاصَّة إنَّ هذا المرقد الطَّاهر مذكر العالم أجمع بالعدالة السَّماويّة

(١) تفسير البرهان/ ج١/ ٣٨٣.
(٢) التذكرة/ ج٨/ ص٤٥٥.

التي وعد الله -سبحانه وتعالى- عباده بتحقيقها وإظهار الإسلام على الدين كله، ولو كره المشركون ليعمّ الدّين الحق الدّنيا بأسرها.

إضافة إلى ذلك فإنَّ بيت الإمام الهادي ﷺ هو رمز من الرّموز الإسلامية المهمَّة والمذكّرة على وجود الإمام المهدي المنتظر -أرواحنا لتراب مقدمه الفداء-.

شاء الله -سبحانه وتعالى- أن يكون هذا الرَّمز وسط أعدائه العباسيين الذين قتلوا وظلموا المؤمنين وإمامهم، وعلى الرَّغم من ذلك لم يتجرّأ أحد منهم على تهديم ذلك الرّمز، إلَّا أنَّ المجرمين وبعد أكثر من ألف ومائة وخمس وسبعين عاماً اعتدوا على المرقد المقدَّس، وقاموا بجريمة بشعة بتفجيرهم المرقد المطهّر، ومازالوا يحملون الحقد الدَّفين، والكفر بأنعم الله فيهم، وبذلك استحقّوا العذاب في الدّنيا والآخرة، وإنَّهم ظلموا أنفسهم قبل أن يظلموا غيرهم قال -تعالى-: (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَّ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**)[1].

## خلود سامراء برموزها:

اسم سامراء من الأسماء الآرامية المنتهية بحرف الألف المقصورة على نحو كربلا وغيرهما، ودخلت هذه الأسماء اللغة العربية فيما بعد وأضيفت لها الهمزة فأصبحت سامراء وكربلاء المقدسة.

أمَّا بالنسبة للتَّطور التّاريخي، فيعود اكتشاف مدينة سامراء إلى عصور قديمة فقد ذكرها المؤرّخ الرّوماني أميانس مرقلينس (٣٢٠ - ٣٩٠م) بصيغة (سومرا sumera) ونوّه عنها المؤرّخ اليوناني زوسيمس بصورة سوما (saoma) وفي التّدوينات الآشورية جاء ذكر اسمها بصيغة (سرمارتا suurmrta) في حين ورد اسم سامراء في مصنفات السّريان (شومرا).

وبعد ذلك في عهد المعتصم العبَّاسي أمر ببنائها مجدّداً، إذ قام ببناء القصور والدّور، وجلب للمدينة الجديدة أصناف الشَّجر المثمر من جميع البلدان فغرست البساتين في كلِّ مكان. ولم تمضِ زهاء ثلاث سنوات حتى أصبحت سامراء من المدن المهمَّة في عهد بني العباس، وكان من ضمن العمران فيها أن شيّد المعتصم ثكنات عسكرية لسكن (٢٥٠) ألف جندي واصطبلات تستوعب (١٦٠) ألف حصان.

وفي عصر المعتز العباسي كثرت الاضطرابات في سامراء سنة ٢٥٣هـ ووافق أن استشهد الإمام علي الهادي ﷺ في سامراء وهو الخليفة الشَّرعي المنصَّب من قبل الله -سبحانه وتعالى-، فبعث المعتز بأخيه ابن أحمد المتوكل فصلى

(١) سورة إبراهيم/ الآية:٤٢

عليه «ظاهراً»، فلمّا كثر عدد الناس المشاركون في تشييع الإمام الهادي ﷺ وكثر بكاؤهم واشتدَّ على مفارقة الإمام، أصدر المعتز أمراً بردّ النَّعش إلى دار الإمام ﷺ فدفن فيه، ومن ذلك اليوم أصبحت سامراء مهوى أفئدة المؤمنين ومقصدهم ينظرون إليها مدينة مقدَّسة ويقصدونها من كلِّ حدبٍ وصوب.

## التَّاريخ يعيد نفسه..

تفيد بعض المعلومات التاريخية أنَّ المعتصم لما وقع اختياره برغبة شديدة على موقع سامراء أمر بأن يستقل الأتراك من مماليكه في أماكن خاصّة من المدينة، وأمر أن لا يختلطوا بعناصر قد تفسد طاعتهم له، وهلك المعتصم سنة ٢٢٧هـ وتولى ولده هارون الواثق بعده وتوفي سنة ٢٣٢هـ، فارتقى المتوكل بن المعتصم وكان هذا قد أمر سنة ٢٣٦هـ بهدم قبر الإمام الحسين بن علي ﷺ في كربلاء المقدسة وهدم ما يحيطه من منازل وأبنية ومنع الناس من زيارته مما يعتبر أنَّ الكفرة موجودون في كل زمان، سواء كانوا في مناصب عُليا أو كانوا بين الناس العاديين إذ أنَّ تعريض وانتهاك الرّموز المقدَّسة والأضرحة الشَّريفة جريمة عظمى يقوم بها من يدّعي الإسلام زوراً وبهتاناً.

ولا يخفى على المتتبّع ما يجري في العراق من تسويات وتصفيات سياسية دولية وإقليمية ومحلّيّة، فإنَّ الوضع القلق الذي ترغب بعض الجهات في إدامته وفرضه كواقع على المجتمع العراقي والمنطقة بشكل عام يسمح للعديد من المسارات السّياسيّة أن تتحرك بداخله، وفي ظل هذه الإرادات المتصارعة أو المتناغمة أو المتفاهمة تقف الطائفة المحقّة المتمثّلة بشيعة أهل البيت ﷺ بجماهيرها البريئة موقف المساند للخير في كل المجالات.

ويضاف إلى ذلك أنَّ النِّظام السَّابق كان قد أنهى البنى التَّحتية للعراق، فجميع العاملين يبدءون من الصّفر ثمّ يتعقّد العمل رويداً رويداً ولكن ذلك لا يثني العزم.

نحن بصراحة في العراق أمام جبهة عدوانيّة شرسة للغاية نقاتل في الاتجاهات المتعدّدة، وما هذه التّحرّكات تكشف أنَّ الصّراع في العراق أصبح إقليميّا وعالمياً ولذلك صارت الحرب ضدّ الشّيعة بحجمها العالمي.

## طبيعة الحرب في عصرنا الحاضر

خلال الخمسين عاما المنصرمة كان العداء للشيعة لا يعدو عن كونه محاولة استفزازهم وإثارتهم أو إسقاطهم اجتماعيًا وحرمانهم من بعض الاستحقاقات السّياسيّة والقانونية.

إلَّا أنَّ اليوم أصبح العداء حرباً مدمّرة يخوضونها بعنوان القداسة والامتثال والطّاعة لله -تعالى-، كتلك التي خاضها أسلافهم ضدّ أمير المؤمنين علي ﷺ.

أسلاف يذبحون بالسّكاكين والشّفرات، ويحرقون المنازل بأهلها، وينتهكون أعراض النِّساء أمام نواظر الآباء والأزواج، ويمثّلون بالإنسان، فضلاً عن الهجمات المسلَّحة الكاسحة والسّيارات والأحزمة والعبوات النَّاسفة... هذه صورة عن الحرب المباشرة مع الإنسان الشِّيعي.

إنَّ المنظور القرآني للظالم يحدّه بمن ارتكب أدنى ذنب فضلاً عن مرتكب جريمة كبرى كجريمة تفجير المرقد الطاهر للإمامين العسكريين-صلوات الله عليهما- فهو ظالم بل هو في قمَّة الظّلم وكل من رضي بذلك فهو كذلك وكل من وقف حيال إعادة البناء واستمراره وتطويره فهو كذلك، وذات الأمر ينطبق على كل من عرقل أو ساوم على ذلك فقدم أي أمر على هذا الأمر الجلل.

اللهم أرنا الطَّلعة البهيّة والغرّة الحميدة، وأكحل أبصارنا بنضرة منّا إليه، اللهم انتقم من كلّ ظالم ظلم حق محمّد وآل محمد من الأولين والآخرين، والحمد لله رب العالمين.

اللهم عجل وليك الفرج

قال تعالى:

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

صدق الله العلي العظيم
سورة التوبة/ الآية:٧١

# شهر جمادى الآخرة

- إيحاءات من النصوص في حق الزهراء عليها السلام
- أم البنين عليها السلام منهل الحكمة والتَّضحية
- السيدة آمنة عليها السلام والدة الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
- من أدوار السيدة أم كلثوم عليها السلام

# إيحاءات من النصوص في حق الزهراء عليها السلام

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي

هناك من الناس من يتصور أننا ننطلق في حبّنا وولائنا للرسول والعترة الطاهرة -صلوات الله عليهم- من العاطفة المحضة، فتدعونا العصبية للتمسك بهؤلاء بغض النظر عما هم عليه من معتقد أو فكرة أو منهج عملي.

وقد توجه إليّ البعض بالقول: أسألك سؤالا قد يسبب لك إزعاجاً فأقول: لو كان الإمام علي عليه السلام كأيّ أحد من الناس الذين تستهويهم المغريات وتجتذبهم الدنيا ويقع كما يقع الناس في المعصية هل تبقون تحبّونه بنفس الحب وتوالونه بنفس الولاء؟.

قلت : لا، لأننا لو كنا ننظر الرسول محمداً صلى الله عليه وآله وكل فرد من أفراد العترة الطاهرة من خلال الذات، وما تتصف به من بناء فسلجي وتركيب عضوي، وأحببناه حباً عاطفياً محضاً، وبعيداً عن كل ما يعتقد ويقول ويعمل:

١ - نكون قد أفرغنا تلك الشخصيات من مقوماتها التي تشكل فيها عنوان القدوة الحسنة، التي سمت بها إلى قمّة الاستحقاق لهذا الحب الذي نص عليه القرآن الكريم بآية المودة، (**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**)[1].

وبدون هذا العنوان - القدوة الحسنة - يكون أحدهم كأيّ فرد من أفراد أسرتنا أو عشيرتنا، الذي قد نحبه ونتعصب له بغض النظر عما يعمل ويتصرف.

---

(١) سورة الشورى/ الآية: ٢٣.

٢- نكون بذلك قد خلقنا المبرّر للميل إلى غيرهم من قادة التاريخ، إذ من حق كل أحد أن يميل ويحب بهذا المقياس، كما نخلق المبرّر لكلّ من ينحرف عن مبادئ الرّسالة وأخلاقها حيث لا وجود عنده للمثل الأعلى للقدوة.

٣- نكون قد فصلنا بين هؤلاء القادة، وبين رسالتهم التي ذابوا فيها وجاهدوا في سبيلها وجدّوا في إرساء قواعدها، وخاضوا غمار المحنة من أجل نصرتها.

أما إذا نظرنا كل فرد من القادة المعصومين عليهم السلام من خلال الرسالة، ومن خلال القرآن وأسس العقيدة والمنهج الذي يتبناه، كما لم يمتدح القرآن الكريم محمداً صلى الله عليه وآله من خلال صفاته الجسدية، بل من خلال خلقه وانسجامه مع مبادئ رسالته، فسوف نحبهم بصفتهم قدوات صالحة حسنة تهدي للتي هي أقوم كما أنّ القرآن يهدي للتي هي أقوم.

وبهذا يكون حبنا وولاؤنا لهؤلاء بمستوى انسجامنا مع أوامر الرسالة، وبمستوى استيعابنا لأهمية هذا الحب والولاء الذي أمرنا الله -تعالى- به كما أمرنا بأداء فروضه، وتكون طاعتنا لهؤلاء القادة حركة تتجه بنا إلى الله -عزّ وجل- وتقود حركتنا وسلوكنا ونشاطنا الفكري والعملي وفقاً لمبادئ العقيدة والمنهج الإسلامي.

ولذلك فحبنا وتعلقنا بسيدتنا الزهراء -صلوات الله عليها- إنَّما هو نابع من سلوكها وأعمالها وعلاقتها مع ربِّها -تبارك وتعالى-، وما المميزات التي سوف نستوحيها من النصوص المباركة إلَّا ثمار تلك العلاقة المقدسة القائمة على أساس العلم والعمل والتفاني في الله -تبارك وتعالى-.

## **أولاً-** الزهـراء نورانية الذات

الزهراء فاطمة عليها السلام إشعاع من بطنان عرش الله -عزّ وجل-، وهالة من نور أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، كما جاء في الحديث الشريف عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في كتاب مصباح الأنوار:

**(يا عمّ لّما أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نوراً. ثمّ تكلّم بكلمة أُخرى، فخلق منها روحاً ثمّ مزّج النور بالروح، فخلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكنّا نسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس فلمّا أراد الله تعالى أن ينشأ الصنعة فتق نوري، فخلق منه العرش، فالعرش من نوري ـ الخبر...ثمّ ذكر (أنّ الملائكة خلقت من نور أمير المؤمنين، وأنّ السماوات والأرض خلقت من نور فاطمة، والشمس والقمر من نور الحسن،**

**والجنّة وحور العين من نور الحسين)**[١].

وعن ابن المغازلي الشافعي باسناده إلى الحسن – البصري – قال: سألته عن قول الله –تعالى–: (كمشكاة فيها مصباح) قال: المشكاة: فاطمة عليها السلام، والمصباح: الحسن والحسين عليهما السلام و(الزجاجة كأنها كوكب دري) كانت فاطمة عليها السلام كوكباً درياً من نساء العالمين (يوقد من شجرة مباركة) الشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام (لا شرقية ولا غربية) لا يهودية ولا نصرانية (يكاد زيتها يضئ) قال: يكاد العلم أن ينطق منها (ولو لم تمسسه نار نور على نور) قال: ابنها إمام بعد إمام (يهدي الله لنوره من يشاء) قال: يهدي لولايتهم من يشاء)[٢].

ولهذا تمثل الزهراء عليها السلام رمز النقاء والطهر في ذاتها وفي كلِّ خلالها وخصالها وصفاتها، وفي كلّ أنحاء وجودها التكوينية والسلوكية.

وهي الإنسانة القمة في علاقتها بربّها وفي طاعتها وعبادتها، وفي أخلاقها، بل في كلّ شيء من خصالها وصفاتها، والإنسانة التربوية في كلِّ منهاج حياتها.

مشكاة نور الله جل جلاله ... زيتونة عمّ الورى بركاتها
هي قطب دائرة الوجود ونقطة ... لما تنزلت أكثرت كثراتها
هي أحمد الثاني واحمد عصرها ... هي عنصر التوحيد في عرصاتها

والكلام في طهر ذاتها يحتاج بحثاً واسعاً ومستقلاً، وكفاها أنَّها الطاهرة المطهرة من كلّ رجس بنص القران الكريم : (**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**)[٣] فكانت النافذة التي أطلت منها سلسلة الإمامة المطهرة من كل رجس.

## **ثانياً-** الزهراء بضعة من رسول الله -صلى الله عليه وآله-

الزهراء عليها السلام ثمرة زواج العظيمين محمد صلى الله عليه وآله وخديجة الكبرى عليها السلام، الذين أولدا أمّة وتأريخاً خالداً بميلاد الزهراء عليها السلام، ولولاها لم يولد التأريخ ولا الأمة.

---

(١) مستدرك سفينة البحار / ١ / ١٧٠
(٢) العلامة المجلسي/ بحار الأنوار / ٢٣ / ٣١٦
(٣) سورة آل عمران/ الآية: ٣٣

وقد خاطب الله -عزّ وجل- رجال الأمّة في أبيها رسول الله ﷺ فقال : (**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**)[١].

فنستوحي من هذا الأمر، أنّ الله -عزّ وجل-، قد شاء أن لا يشارك الزهراء عليها السلام أحدً في نسبها السامي، فكان محمد أباً للزهراء فاطمة عليها السلام وحدها، ولتكون الزهراء بنتًا للنبي والنبوة دون غيرها من الرّجال والنساء، ومن ثم لتكون النافذة التي يطل من خلالها قادة الحق، ورموز الإمامة الهادية إلى الله والحق والرسالة.

وبهذا تكون الإمامة قد ولدت من روح النبوة، لتولد بعد ذلك من خلالها الأمّة بكلِّ مقوماتها، بفكرها وحضارتها ورسالتها وتأريخها.

روي عن مجاهد، قال: (خرج النبي ﷺ وهو آخذٌ بيد فاطمة فقال: (**من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله...**)[٢].

كما أنّ صلة الزهراء عليها السلام بأبيها رسول الله ﷺ ليست صلة في نطاق الأبوة والبنوة فحسب، إذ عندما يتكلم ﷺ عن هذه الرابطة، لم يتكلم كما يتكلم أي أب عن صلته بأبنائه وبناته بمحض العاطفة الأبوية.

فما أكثر المتكلمين عن هذه الرابطة الأبوية التي تعتبر أمراً فطرياً عاطفياً طبيعياً مألوفاً في حياة الناس؛ لأنك عندما ترى شخصاً يكثر من الكلام عن هذه الرابطة، كان من حقك أن تستكثر منه هذا وشبهه من الكلام، ولكنك لا تستطيع أن تستكثره من رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى.

وإنَّما يتكلم ﷺ بصفته صاحب رسالة يريد أن يرسخ جلّ مفاهيمها ومبادئها في حياة الأمة، ومن لوازم ذلك أن يجعل من نفسه ومن ابنته وعترته قدوة للناس أجمعين.

وبذلك تكون صلته بابنته نابعة من صميم صلته برسالته، فيريد بذلك من الأمة أن تنظر إلى الزهراء عليها السلام كما تنظر إليه ﷺ في الموقع والحركة والسلوك والنشاط الرّسالي.

فهي مع أبيها كالرّوح مع الرّوح، والقلب مع القلب، والعقل مع العقل، لا تحرّكها العاطفة في نطاق ذاتها الشخصية، بل تحرّكها في دائرة الحق وخدمة الرسالة.

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية: ٤٠.

(٢) بحار الأنوار / ج ٤٧ / ٥٤ .

## **ثالثاً** - الزهراء محبوبة أبيها

لقد قسم رسول الله ﷺ حبّه الضخم الذي امتلأ به قلبه، إلى قسمين:

القسم الأول: من حبه لكل الأمّة، لأنه الرّحمة التي أهداها الله –تعالى– لها من عنده، فقال –تعالى–: **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)**[١].

هذه الحصّة من حبّه ورحمته كانت درساً ومنبعاً لتربية الأمة، تستطيع بها أن تتنعم، وتحيى وتتراحم فيما بينها .

أمَّا القسم الآخر: فهو حب فريد خاص لابنته الزهراء ﷺ، الفريدة في إيمانها وعصمتها وجهادها وإيثارها وتفانيها وحسن تبعلها وصبرها.

ولكن لم يمنعه هذا الحب لابنته فاطمة ﷺ من أن يؤكد للأمّة: أنّ موقعه من الرّسالة موقع المسؤولية، لا يغني عنه شيء في الحياة الدنيا.

وأنّ رابطته بابنته فاطمة ﷺ، وإن كانت رابطة فريدة من نوعها، حتى قال ﷺ: **(فاطمة بضعة مني يؤذيني من آذاها، ويرضيني من أرضاها، ويريبني ما رابها)**[٢].

## **رابعاً**- الزهراء في غضبها ورضاها

على ضوء هذه الصلة الوثيقة، علينا أن نفهم أنّ الزهراء ﷺ تمثل موقعاً رفيعاً ومحوراً هاماً من محاور الرسالة في وعيها ونشاطها وحركتها وعاطفتها وفي غضبها ورضاها.

وهو ما يعطيه حديث رسول الله ﷺ كما في باب مناقب قرابة الرسول ﷺ.

فقد روى عن النبي ﷺ انه قال : **(ابنتي فاطمة سيدة نساء أهل الجنة)**، وانه قال : **(فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)**[٣].

عن النبي ﷺ أنه قال: **(إنّ فاطمة شجنة[٤]مني يؤذيني ما آذاها ويسّرني ما سّرها وإنّ الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)**[٥].

(١) سورة التوبة/ الآية: ١٢٨.

(٢) رواه أحمد في مسنده / ج ٤ / ص٥.

(٣) دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري/ ج ٢٠/ ١٩.

(٤) الشجنة هي : الشعبة أو الفرع الذي يرتبط بأصله.

(٥)بحار الأنوار / ج ٤٣ / ص٢٦.

وبما أنّ رسول الله ﷺ لا يتكلم من وحي العاطفة، وإنما يتكلم من وحي الله -عزّ وجل-، لذلك لا يعني أنّ غضب الزهراء عليها السلام يساوي غضبه وأنّ رضاها يساوي رضاه؛ لأنها ابنته فحسب.

بل لأنها في وعيها للرسالة وفي حركتها من أجل الرسالة لا ترضى إلّا بما يرضي الله -تعالى- والرسالة، فيكون غضب النبي ﷺ ورضاه لغضب الزهراء ورضاها كله في موقفها الإحتجاجي العارم، وفي تظلمها وشكاتها إلى الله -تعالى-.

إذ لم يعهد من الزهراء عليها السلام أنها ذكرت في خطبتها على مسامع القوم ما عانته من حرق الدار، ومن تعرضها للضرب من قبل جلاوزة وأدوات الحكم آنذاك، رغم ما حل بها من عظم المأساة ومرارة الخطب، الأمر الذي أضاف شيئاً من العتمة على تفاصيل الحدث التاريخي المرير.

وإنما كان التركيز في كلماتها على مصادرة فدك وغصب الحق الإسلامي الذي يتمثل في الولاية التي نص عليها من قبل رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام.

لأنّ كل ذلك من عملية المصادرة هذه، وغصب الحق المتمثل في الولاية، يعتبر انحرافاً فاضحاً عن خط الشريعة ونهج الرسول الكريم محمد ﷺ، وتحريفاً لمادة شرعية من مواد الرسالة.

فكانت ردّة الفعل في وعي الزهراء عليها السلام ردّاً على انحراف الجهاز الحاكم عن خط الرسالة، أي: كما أنّ غصب فدك كان مفتاحاً لغصب الحق الإسلامي، فكذلك كان الغضب منها ومطالبتها بفدك مفتاحاً للغضب للحق الإسلامي، ومظهراً من مظاهر الاستنكار لعملية التحريف للنص القرآني.

وبذلك تعلمنا الزهراء عليها السلام أن نغضب للحق دوماً لا لمصالحنا الشخصية، وأن نثأر لله -تعالى- والرسالة لا لمعاناتنا الخاصة وأن نحمل هموم الرسالة والأمة لا همومنا الفردية.

## **خامساً-** حزن الزهراء من أيّ موقع؟

فقد ذكر لنا التاريخ أنه اجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة عليها السلام تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً.

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء فلما رأته سكنت هنيئة له، فقال لها: يا بنت رسول الله ﷺ إنّ شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إمّا أن تبكين أباك ليلاً وإمّا نهاراً.

فقالت: يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم فو الله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله ﷺ، فقال لها علي عليه السلام : افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك.

ثم إنه بنى لها بيتا في البقيع نازحاً عن المدينة يسمى بيت الأحزان، وكانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية....)[1].

لذا من حقنا أن نتساءل، هل أنّ حزن الصديقة فاطمة عليها السلام كان من موقع القوة أم من موقع الضعف؟ لأنّ هناك من لا يتسع صدره للمحنة فيتصاغر ويضعف ويفقد توازنه، وهناك من تبلور المحنة ذاته وتكشف عن طاقاته ومواهبه وقوة شخصيته.

لذا فليس من المعقول أن تكون الزهراء عليها السلام بهذا المستوى من التصاغر أمام المحنة، أو أنّ هذه الظاهرة من الحزن والبكاء كانت تمثل عاملاً من عوامل الضعف في الحركة والموقف.

بل إنها كانت تعبيراً عما يجيش بصدرها من الألم على هذه الأمة التي ستتخلف عن أكبر مكاسبها التي حققها لها رسول الله ﷺ.

مضافا إلى أنها كانت تظاهرة يومية استكشفت واستنكرت الزهراء عليها السلام من خلالها سلبيات الخط السياسي المهزوز تجاهها، والذي كان أصحابه يخشون من هذه التظاهرة الحزينة؛ لأنهم يعتقدون أنّ الزهراء عليها السلام تنطلق بهذه العملية من موقع القوة والحجة الدامغة لا من موقع الضعف.

فمن غير المعقول أن تكون المحنة والمأساة في حياة الزهراء عليها السلام كما هي في حياة كلّ امرأة من النساء، بل كانت المأساة في تصورها مأساة القضية الكبرى للرسالة.

وبكلمة موجزة: كان حزنها وبكاؤها على أبيها رسول الله ﷺ حزن القضية لا حزن الذات.

كما كان خطابها للجهاز الحاكم خطاباً مفعما بقوة الحجة، وزينة المنطق، وبالكلمة الحقّة المعبرة عن إيجابيات الرسالة واستقامة الفكرة والمنهج الإسلامي وخطوطه التربوية.

ومن هنا كان من حق كلّ باحث أن يقف وقفة تأملية مع كتاب التاريخ، حيث أن قسماً من كتاب التاريخ يريد لنا أن نبكي الزهراء عليها السلام ولو على حساب مقام الإمام علي عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار/ ج ٤٣ / ص١٧٧.

وذلك: عندما ينقل لنا هؤلاء عنها كلمات، قد تكون في ظاهرها بعيدة عن الجو الرّوحي والفكري والسلوكي الذي كانت تعيشه الزهراء عليها السلام في بيت الإمام علي عليه السلام، فقد نقل التاريخ عنها قولها في خطابها لعلي عليه السلام: (يا بن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الاجدل، فخانك ريش الاعزل).

فيعطونها ويعطيها بعض خطباء المنبر معنى إنفعالياً: أي : إنك كالجنين الذي هو واهن العضد وعديم القوة، لا يستطيع أن يأخذ الحق من غاصبه، ولا ينتصر للمظلوم من ظالمه.

وباستطاعتنا أن نلمس الفرق بين أن تتكلم الزهراء عليها السلام بذلك الانفعال والتهمة في حق بعلها الذي طالما عرفته – روحي فداها – أسداً فارساً وبطلاً باسلاً لا تأخذه في الحق لومة لائم، كما أنها عرفته حليفا للحق في كلّ حركاته وسكناته قد التحم مع الحق وامتزج معه امتزاج العطر بالزهر فلا تأخذه في الله لومة لائم.

وبين قولها لبعلها عليه السلام في نفس الخطاب: (ما عهدتني خائنة ولا خالفتك من عاشرتك) لأنها تعطي – بذلك – لكلّ امرأة صورة لامعة عن معالم الحياة الزوجية، وعن فهمها لشخصية بعلها القوي في ذات الله –عزّ وجل–.

إلا أنّ ما ينبغي أن نقرأه هو المدلول الخفي وراء ما يظهر من التظلم والانفعال، وهو أنها تبين ما عليه الإمام علي عليه السلام من سلامة الموقف وعدم الانجرار وراء الفتنة فقد اشتمل برداء الصبر والترفع كالجنين الذي اشتمل في رحم أمه عن فتنة الدنيا وأطماعها.

إذ لم يكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام غافلاً عن خصوصيات الزهراء عليها السلام وعن تفاصيل حياتها معه خلال الحقبة الزمنية الفريدة، التي لم يلد الزمان مثلها قط عدا حياة أمها خديجة عليها السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وتعاونهما على مباهج الحياة ومتاعبها.

# أم البنين عليها السلام
## منهل الحكمة والتّضحية

الشيخ محمد عبد الرزاق

تميَّز الدِّين الإسلامي خلال تاريخه المشرّف بشخصيات نسويّة عظيمة، خلُدن على صفحات التَّضحية والثَّبات على الفضيلة، إذ وقفنَ مواقف مشهودة جسَّدت الوجه المشرق للتعاليم السَّماوية السَّمحة.

ومن أشهر تلكم النِّساء الخالدات: فاطمة بنت حزام الكلابية عليها السلام الملقّبة بأمِّ البنين عليها السلام، التي كانت لها مواقف مشرِّفة مع حجج الله -تعالى- على البرايا، بعد أن نهلت معاني الحياة الحقيقية وصيّرتها بالعمل، فكانت بنفسها مصداقًا للتضحية والفداء في سبيل المبدأ.

لذلك سنحاول أن نستلهم مجموعة من الدّروس والعبر والمفاهيم التي لها علاقة بهذه المرأة الجليلة القدر:

### أوَّلاً: صفات النِّساء الممدوحات

لقد علّم المعصومون -صلوات الله عليهم- البشرية جميعاً الموازين التي على أساسها تنتخب الزَّوجة، فلا بأس بإلقاء نظرة على جملة من الآداب والأحكام الإسلامية الرَّائعة في هذا المجال.

روى العلّامة الفيض الكاشاني في الوافي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كُنّا عند النّبي صلى الله عليه وآله فقال: "**إنَّ خير**

**نسائكم: الولود، الودود، العفيفة، العزيزة في أهلها، الذَّليلة مع بعلها، المتبرجة [١] مع زوجها، الحصان[٢] على غيره، التي تسمع قوله، وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها، ولم تبذل كتبذل الرجل"[٣] .**

وعن أبي الحسن الرِّضا ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: **خير نسائكم الخمس.**

قيل: وما الخمس؟

قال: **الهينة، اللينة، المواتية، التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى، وإذا غاب عنها زوجها حفظته في غيبته، فتلك عامل من عمال الله، وعامل الله لا يخيب[٤].**

هذا بالإضافة إلى الصِّفات الأخرى المذكورة في الحديثين المذكورين وغيرهما من الأحاديث الشَّريفة[٥] .

وعن الإمام الصّادق ﷺ قال: « **أغلب الأعداء للمؤمن زوجة السّوء**»[٦] .

وقال الرّسول الأعظم ﷺ : «**أفضل نساء أمّتي أصبحهنَّ وجهاً وأقلهنَّ مهراً**» [٧].

وقال ﷺ: «**اعلموا أنَّ السّوداء إذا كانت ولوداً أحبّ إليّ من الحسناء العاقر**»[٨] .

وقال النّبي ﷺ: «**ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله**»[٩] .

وفي رواية: «**وامرأة صالحة تعينه على أمر الدّنيا والآخرة**»[١٠] .

وعنه ﷺ: «**اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضَّجيعين**»[١١] .

---

(١) التبرج : اظهار الزينة.

(٢) الحصان : العفيفة.

(٣) الكافي: ٥ / ٣٢٤ .

(٤)الأمالي للطوسي/ ص ٤١٠.

(٥) انظر للمزيد وسائل الشيعة ، جزء : ٢٠.

(٦) الفقيه: ٣ / ٢٤٧.

(٧) الكافي: ٥ / ٣٢٤ .

(٨) الفقيه: ٣ / ٢٤٨ .

(٩) الكافي: ٥ / ٣٢٧ .

(١٠) المصدر نفسه/ ٣٢٧ .

(١١) الكافي: ٥ / ٣٣٢ .

وقال تعالى: (**قَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ**)[١] قيل: المراد بالتقديم طلب الولد الصَّالح والسَّعي في حصوله[٢] . أي اطلبوا المرأة التّقيّة الصَّالحة لتلد لكم أولاداً صالحين.

فقد روي: وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإنَّ العرق دسّاس[٣] .

والمرأة وعاء ينبغي أن يتلطّف الرّجل ويدقّق في اختياره؛ لئلا تضيع أتعابه وتذهب ذرّيّته أدراج الرِّياح.

إنطلاقاً من هذه الحكم دعا أمير المؤمنين ﷺ أخاه عقيلاً ليختار له امرأة ولدتها الفحولة، من ذوات البيوت المعروفة بالشَّجاعة والخلق السَّامي، فكانت النَّتيجة اختيار زبدة المخدَّرات، والدّرّة المصفّاة «أمّ البنين» عليها أفضل الصلوات، التي أنجبت له قمر بني هاشم واخوته النّجباء، الذين طبقت شهرتهم الآفاق، وصاروا قبلة للمجاهدين والأحرار، وسبقوا في طريق الخير والحق واليقين[٤] .

أجل؛ لقد صار زواج أمير المؤمنين ﷺ بهذه الخصوصيات مثلاً يحتذي به المسلمون، ودرساً يلقنهم مستوى التَّدقيق في أمر الزَّواج، والالتزام بآداب الشَّريعة الغرّاء؛ لينالوا سعادة الدّارين وخير الدّنيا والدّين.

بيد أنّ النَّاس لربما أعرضوا عن تعاليم أئمّة المؤمنين، وأقدموا على ما يريدون من منطلق الجهل، فيتسامحون في أمر الزّواج ويتساهلون، فينطلقون ـ في قضايا الزَّواج ـ بدوافع الشَّهوة، وينظرون إلى الجمال والمال، ويغفلون عن بقاء النَّسل، وامتداد الآباء في الأبناء، وتقديم الأولاد الصَّالحين للمجتمع البشري؛ ليكونوا لهم ذخراً في العالمين.

فلو أنّ فلّاحاً أراد أن يزرع الشَّعير لبذل جهده، وأنفذ ما في وسعه في تطهير الأرض وإعدادها، واختيار البذرة وطريقة بذرها وسقيها ورعايتها؛ كي تعطيه النَّتيجة المطلوبة، وتحقّق له الغاية المرغوبة، ولكن ـ وللأسف الشَّديد ـ قد يغفل الإنسان بالكامل عن الظّروف التي يريد أن ينثر فيها بذور الإنسان الذي جعله الله العلّة الغائية للموجودات، وخلق من أجله الكون والمخلوقات، والمرأة حرث كما سمّاها القرآن حيث قال تعالى:

(**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**)[٥] .

فالمرأة حرث الرجل ومزرعته، ينثر فيها بذر الإنسانية، فلا ينبغي له التّهاون في أمرها: غير أنّ من المؤسف أن

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ٢٢٣.

(٢)بحار الأنوار/ ج ٧٨ / ٧٤.

(٣) شرح نهج البلاغة/ ج ١٢ / ١١٦.

(٤) انظر الخصائص العباسية (للكلباسي الاصفهاني) / ص ٨٢.

(٥) سورة البقرة/ الآية: ٢٢٣.

تجد من لا يهتمّ بطهارة المحل، وقد يقيض الله له امرأة عفيفة طاهرة فينصرف عنها الرجل ـ والعياذ بالله ـ ويتورط بالأرجاس والخبائث وتسريح النّظر في غير ما أحلّ الله.

## ثانياً: أم البنين تحيي ذكرى عاشوراء:

كانت أم البنين عليها السلام من النّساء الفاضلات العارفات بزمانها، والعارفات بحقِّ أهل البيت عليهم السلام، كما كانت فصيحة لسنة ورعة، وكانت ممن حمى حريم الإمام الحسين-صلوات الله عليه-، وأقام العزاء عليه؛ لتشارك في حفظ ثورته والوفاء لدمه الذي سكن الخلد، وتشكل حلقة مهمَّة في امتداد النَّهضة.

وقد اتخذت من أسلوب النّدبة والنّياحة سبيلاً للنداء بمظلومية سيّد الشّهداء الحسين عليه السلام وآل البيت عليهم السلام فكانت تحمل عبيد الله بن العباس وتخرج إلى البقيع تقيم المآتم على قتيل العبرات، وتندب أولادها أشجى ندبة، وتتمنَّى لو كان الحسين عليه السلام حيَّاً وتموت هي وأولادها ومن على الأرض فداء له، وكانت تتوخّى من وراء ذلك:

١ ـ إقامة المآتم على سيّد الشّهداء وريحانة الرَّسول صلى الله عليه وآله وتعظم شعائر الله.

٢ ـ تعلن للملأ عن شجاعة الحسين وأولادها ومظلوميتهم وتفخر بهم على التاريخ.

٣ ـ تشرح أحداث كربلاء وما وقع فيها من ظلامات لآل النبي صلى الله عليه وآله وفجائع يخجل منها كل مخلوق، وتصيغ ذلك بأسلوب النّدبة العاطفي، وتعلن بذلك عن اعتراضها على الوضع القائم وحكومة الطّاغوت.

٤ ـ تفضح الحكّام الظَّلمة الذين تسلّطوا على مقدَّرات الأمّة وحاولوا تضليل الناس، وقلب الحقائق على مرّ التاريخ، فكانت أمّ البنين عليها السلام تُبيّن الحق والحقيقة من خلال ذلك.

٥ ـ تحرض النَّاس ضدَّ بني أمية وأذنابهم وتطالب بدماء الأحراء من آل البيت عليهم السلام.

٦ ـ وكانت تخرج إلى البقيع ـ مع أنَّ قبر العبَّاس وأخوته في كربلاء ـ ليجتمع الناس هناك ويتذكّرون مظالم الحسن وريحانة النَّبي صلى الله عليه وآله الصّدّيقة الطَّاهرة، وتعيد لهم ذكرياتهم مع النبي صلى الله عليه وآله هناك وتذكّرهم بمواقف المسلمين في صدر الإسلام في الذَّبِّ عن النبي صلى الله عليه وآله وقد ضمّتهم الآن هذه المقبرة المقدَّسة.

٧ ـ وكانت تحمل معها عبيد الله بن العباس ـ حفيدها ـ باعتباره كان موجوداً في يوم الطَّفّ فهو شاهد عيان ودليل وبرهان حي يروي لهم ولمن سيأتي من الأجيال ويجتمع له أترابه والكبار والصّغار ....

لقد ساهمت أم البنين عليها السلام في إبلاغ خطاب عاشوراء إلى المجتمع المعاصر لها وأبلغت مسامع الأيّام ليتردّد صوتها إلى

جانب صوت أمِّ المصائب زينب ﷺ حينما وقفت كالطَّود الشَّامخ لا تحركه العواصف؛ لتحمي ثورة الحسين ﷺ، وتحفظ الحقّ ورسالة التَّوحيد على طول خطِّ التاريخ.

## ثالثاً: لمحة خاطفة عن أحفاد أمِّ البنين ﷺ

لقد ازدان التاريخ بعدد كبير من أحفاد أم البنين ﷺ من ولدها العباس ﷺ، فقد جاء في كتب التاريخ والأنساب أنَّه خلف من الأبناء:

عبيد الله والفضل والحسن ومحمد والقاسم وبنتاً واحدة [١] وعقبه الباقي الى اليوم من ولده عبيد الله المشهور، وبعضهم يقول من ابنه الحسن كابن قتيبة.

وقد برز منهم أعلام في العلم والأدب والتّجارة والصّناعة والزّراعة وغير ذاك من المهن الحرَّة الشَّريفة ....

وكانت لهم منزلة عظيمة، وكمثل على ذلك اعتبارهم بمنزلة بني فاطمة الزَّهراء ﷺ، فعن معاوية بن عمّار قال: قلت للصّادق ﷺ: كيف قسمت فدك بعدما رجعت إليكم قال: لولد العباس ﷺ ربع والباقي لنا [٢]..

ونحن نقتصر هنا على ذكر نماذج منهم ونختصر في ذلك على بعض الأحفاد.

### الحفيد الأوَّل:

لقد كان الحفيد الأوَّل لأمّ البنين ﷺ عبيد الله بن العباس ﷺ . وقد خلّف عدداً من الأولاد كان منهم ولده الحسن أكثر أعقاباً[٣] .

ومع أنَّ عبيد الله بن العباس أكبر أخوته سنّاً فقد تلت تلك الشّهرة أنّه كان أبوه العباس ﷺ يُكنَّى بولده الفضل الذي هو دون عبيد الله في السّن، فلعلّ ذلك يرجع إلى ملابسة فضيلة العباس وفضله بالاسم المذكور فكنّي بـ «أبي الفضل» وللملابسات دورها في الكنى.

### عبيد الله الثاني (الأمير):

ولعبيد الله بن العبَّاس حفيد من ولده الحسن اسمه عبيد الله أيضاً، ويعرف بـ «الأمير»؛ ذلك لأنّه تولّى على إمارة

---

(١) عن كتاب زينب الكبرى للنقدي / ١٢.

(٢) عن كتاب العباس للمقرم / ٨١.

(٣) عن بطل العلقمي/ ٢ / ٤٣٥.

الحرمين مكة والمدينة في بداية العصر العبَّاسي، فقد جاء في تاريخ الطبرسي أنَّ الرَّشيد ولّاه بعد ولاية صالح بن الرَّشيد[١] .

## الحمزة بن عبيد الله الثاني:

ولعبيد الله الثَّاني هذا ولد اسمه الحمزة كان عالماً أديباً فصيحاً شاعراً شجاعاً، وكان يشبه جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الدّاوودي في العمدة: زاده المأمون مائة ألف درهم في العطاء لذلك الشّبه[٢] .

## محمد بن الحمزة بن عبيد الله الثاني:

وللحمزة بن عبيد الله الثاني ولد اسمه محمد عرف بالشَّهيد؛ لأنَّه قتل غيلة ظلماً وعدواناً أيَّام القرامطة، وكان عالماً سخيّاً شجاعاً فصيحاً جمع من الفضائل ما قلّ أن يجمع في غيره. كما أنَّه كان من رجال الأعمال والعقار والضّياع مثرياً محسناً وجيهاً محبوباً ... مع أنّه كان في غربة عن وطنه المدينة، فقد كان في طبرية بالأردن، وبها قتل مأسوفاً عليه، وعقبه يعرفون بـ «بني الشَّهيد»[٣].

## العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس عليه السلام:

وللحسن بن عبيد الله بن العباس عليه السلام ولد اسمه العبَّاس أيضاً، وللعبَّاس الثاني هذا ولد اسمه عبد الله، ويعرف بالخطيب، وكان هو وأولاده من الأعيان البارزين، وكان شاعراً مجيداً كما جاء ذلك في كتاب «العمدة».

وله ولد اسمه القاسم كان فقيهاً محدّثاً ذا وجاهة كبيرة، وكان قاضي الحرمين مكة والمدينة، كما كان من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، جاء ذلك في كتاب المناقب للسروي -رحمه الله-.

## الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس عليه السلام:

كما ولعبيد الله الأوَّل بن العباس عليه السلام من ولده الحسن حفيد اسمه الحمزة أيضاً.

والحمزة هذا جد والد الحمزة الغربي المكنَّى بـ «أبي يعلى بن علي بن الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس عليه السلام»،

---

(١) عن بطل العلقمي/ ج ٢ / ٤٣٥.

(٢) المصدر السابق/ ج ٣ / ٣٣٦.

(٣) عن كتاب بحر الانساب للعميدي/ ٦٦.

وهو ثقه جليل القدر، كما في كتاب تحفة العالم للسيد بحر العلوم[١]، وكان مؤلّفاً عارفاً نبيلًا، ومن مشايخ الإجازة ورواة الحديث.

هكذا كان؛ بل أكثر كما قال عنه المؤرّخون والنَّسَّابون وعلماء علم الحديث.

وله كتاب «التَّوحيد» وكتاب «الزّيارات والمناسك» وكتاب «الرّدّ على محمد بن جعفر الأسدي»[٢].

وقبره في الحلّة قرب القرية المزيدية.

وللحمزة الغربي هذا كرامات باهرة حيّاً وميّتاً.

ولذلك ترى قبره الواقع في القرية المذكورة بين قبائل آل سلطان حافلاً بالزائرين يقصده ذووا الحاجات للتوسل إلى الله بمقامه عنده، عملاً بقوله-تعالى- (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ).

هذه نماذج من أحفاد أمّ البنين عليها السلام ممّن احتلّوا المراكز العليا في مختلف الميادين.

## رابعاً: وفاة أمّ البنين عليها السلام

بعد أن مرّت أمّ البنين عليها السلام بحياة مليئة بالجهاد والتَّضحية، شهدت خلالها الكثير من الظّلم الذي وقع على زوجها أمير المؤمنين عليه السلام وتآمرت الأمّة على ولديه عليهما السلام، وفَقْد فلذات كبدها عليهما السلام، خلدت عليها السلام الى اللّوعة والأسى، وشاركت عقيلة الهاشميين زينب عليها السلام حزنها، حتى اشتاقت الى لقاء ربِّها، والاجتماع برسوله ووصيّه وأولادها.. ففاضت نفسها الزَّكيّة لتحتضنها العترة المحمّديّة في الثّالث عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٦٤هـ، وقد دفنت في بقيع الغرقد، مثوى الصَّالحين الأوائل.

قال السّيّد مهدي السّويج الخطيب[٣]: سُئلت عدّة مرات في أماكن متعدّدة عن تاريخ وفاة أمّ البنين عليها السلام، كما سألت أيضاً عدداً من أهل الخبرة في ذلك، فكان جوابي لمن سألني وجواب من سألته جواباً واحداً، وهو: لم يعثر على ذكر يوم وفاة أمّ البنين أو سنة وفاتها.

وفي ذات يوم تناولت كتاباً كان قد وقع بيدي منذ عهد بعيد، وقد شغلت عنه، وكان قد علق في ذهني أنَّ في الكتاب المذكور قصيدة في حديث الكساء، فتناولته على حساب القصيدة، وكان اسم الكتاب «كنز المطالب» تأليف العلّامة

(١) تحفة العالم/ ج ٢/ ٣٤.

(٢) عن رجال النجاشي/ ص ١٠١.

(٣) أم البنين سيدة نساء العرب/ ص ٨٤.

السّيّد محمد باقر القرباغي الهمداني -رحمه الله-، فاليك نصّ ما جاء فيه بهذا الخصوص:

«قال المصنف -رفع الله شأنه-: وكان مدار حديث الكساء المبارك بيت فاطمة الزّهراء عليها السلام، وكانت وفاتها في الثالث من جمادى الثاني، وقد خلّفتها في تربية الحسنين عليهما السلام أمامة بنت أختها، ثم فاطمة أمّ البنين الكلابية، وقد توفّيت بعد مقتل الحسين عليه السلام ودفنت بالبقيع بالقرب من فاطمة الزّهراء-صلوات الله عليها-.

ففي الاختيارات عن الأعمش قال: دخلت على الإمام زين العابدين عليه السلام في الثّالث عشر من جمادى الثّاني، وكان يوم جمعة، فدخل الفضل بن العبّاس عليه السلام، وهو باكٍ حزين، وهو يقول: لقد ماتت جدَّتي أمّ البنين، فانظر بالله عليك إلى هذا الدَّهر الخؤون كيف فجع أهل الكساء مرّتين في شهر واحد فلا حول ولا قوة إلّا بالله ...».

ثم عثرت بعد ذلك بمدَّة على خبر آخر في هامش « وقائع الشّهور والأيّام « للبيرجندي ونصَّه ما يلي: «وفيه ـ يقصد الثّالث عشر من جمادى الثاني ـ توفّيت أمّ البنين الكلابيّة سنة (٦٤ هـ) عن الأعمش».

وعليه فهذان المصدران في تاريخ وفاة أمّ البنين أحدهما يذكر اليوم والآخر يذكر السّنة التي توفّيت فيها ملتحقة بالرّفيق الأعلى بعد أن قامت بأدوارها الهامّة في حياتها، من رعاية شؤون الحسنين عليهما السلام ـ كما تقدم ـ وتربية بنيها وتوجيههم، مضافاً إلى توجيه أبيهم الإمام علي عليه السلام، وتضحيتها بهم في سبيل الله بين يدي الحسين عليه السلام، وإقامتها المآتم على الحسين عليه السلام، وتقديمه على كلِّ عزيز ومفقود، ومشاطرتها العقيلة زينب والإمام زين العابدين عليه السلام في الحزن والأسى، والقيام بتربية أبناء ولدها العباس، ووفائها لزوجها أمير المؤمنين، ولسيّدتها فاطمة الزّهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام، حتى لقيت ربّها وهو راض عنها.

فمنها من الكرامات ما أظهر ـ وما زال يظهر ـ شخصيّتها أكثر، فلحقت ببعلها أمير المؤمنين عليه السلام وبينها الغرّ الميامين في جوار المصطفى الأمين وآله الأطهار في جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

فهي خالدة في النَّعيم هناك، وخالدة في أعماق قلوب المؤمنين، ولا تزال أنّتها ودموعها تسيل من كلّ عين، ولا تزال ندبتها للحسين عليه السلام ولولدها تسيل أسى وجمرات في زفرات الشّيعة والموالين.

# السيدة آمنة عليها السلام
# والدة الرَّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

السيد عصام الموسوي

## النَّسب الشَّريف

هي السَّيّدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، والدة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، يجتمع نسبها مع عبد الله زوجها والد النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم في كلاب، إذ أنّ أحد ابنيه قصي جدّ عبد الله، والآخر زهرة جدّ آمنة[١].

أُمّها: برة بنت عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب.

فكانت آمنة عليها السلام من بنات أعمام عبد الله عليه السلام .

فهي قرشية كلابية من الأبوين.

وقد تزوّجها عبد الله وهو ابن ثلاثين سنة أو خمس وعشرين سنة.

## الأصلاب الطَّاهرة

من معتقدات الشّيعة الإمامية في المعصومين عليهم السلام أنَّهم لم يتنقّلوا إلَّا من صلب طاهر إلى رحم مطهّر، وذلك من

(١) أعلام الورى بأعلام الهدى / ج١/ ص٢٥.

أبينا آدم ﷺ وأمّنا حوّاء ﷺ حتّى قدموا إلى هذه الحياة الدّنيا.

فلا يمكن أن يودع المعصوم ـ والعياذ بالله ـ في صلب غير طاهر أو ليس بموحّد، أو أنّه يبقى في رحم غير مطهّر، وهذا ما دلّت عليه الرّوايات الشّريفة:

قال الرّسول الأعظمﷺ: **"خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نورٍ واحدٍ قبل أن يخلق آدم ﷺ بسبعة آلاف عام، ثم نقلنا إلى صلب آدمﷺ ثم نقلنا من صلبه إلى أصلاب الطّاهرين إلى أرحام الطّاهرات".**

**فقلنا: يا رسول الله، فأين كنتم وعلى أي مثال كنتم؟**

**قال: "أشباحاً من نور تحت العرش نسبّح الله تعالى ونقدّسه ونمجّده".**

**ثمّ قالﷺ: "لمّا عُرج بي إلى السماء وعند سدرة المنتهى ودّعني جبرائيلﷺ، فقلت لـه: في هذا المكان تفارقني؟ فقال: إنّي لا أجوزه فتحرق أجنحتي".**

**ثمّ قالﷺ: "زجّ [1] بي في النّور ما شاء الله، وأوحى الله تبارك وتعالى إلّي: يا محمّد إنيّ اطّلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فجعلتك نبياً، ثمّ أطلعت ثانية فاخترت منها عليّاً وجعلته وصيّك ووارثك ووارث علمك والإمام من بعدك، وأخرج من أصلابكما الذّرّية الطّاهرة والأئمّة المعصومين خزّان علمي، فلولاكم ما خلقت الدّنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار، يا محمّد أتحبّ أن تراهم؟**

**قلت: نعم.**

**فنوديت يا محمّد ارفع رأسك.**

**فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمّد بن علي وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمّد بن علي وعلي بن محمّد والحسن بن علي والحجّة بن الحسن يتلألأ وجهه من بينهم نوراً كأنّه كوكب درّي، فقلت: يا ربّ ومن هؤلاء ومن هذا؟**

**قال: يا محمّد هم الأئمّة من بعدك المطهّرون من صلبك وهذا الحجّة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويشفي صدور قوم مؤمنين».**

**فقلنا: بآبائنا وأُمّهاتنا يا رسول الله ﷺ لقد قلت عجباً.**

(١) زجّ: رمي به، لسان العرب مادّة زجج.

فقال ﷺ: «**وأعجب من هذا أنّ قوماً يسمعون منّي هذا الكلام ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله ويؤذونني فيهم، ما لهم، لا أنالهم الله شفاعتي**»[١].

ونقرأ في زيارة رسول الله ﷺ: «**أشهد يا رسول الله أنَّك كنت نوراً في الأصلاب الشَّامخة، والأرحام المطهّرة، لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمّات ثيابها**»[٢].

وكذلك في زيارة الإمام الحسين عليه السلام[٣].

إلى غير ذلك من الرّوايات والزّيارات الشَّريفة التي تنصّ على أنَّ المعصومين عليهم السلام لا يودعون إلاّ في الأصلاب الطَّاهرة والأرحام المطهَّرة، مضافاً إلى بعض الشَّواهد التّاريخية المؤيّدة لذلك.

## نور النّبوّة

نقل المؤرّخون أنَّه كانت هناك امرأة تُدعى فاطمة بنت مرّة قد قرأت الكتب واطّلعت على ما فيها من الوقائع المهمّة، وفي أحد الأيَّام التقت بعبد الله والد النَّبي ﷺ، فقالت له: أنت الذي فداك أبوك بمائة من الإبل؟

قال: نعم.

فعرضت عليه نفسها ولو بالحرام مقابل أن تعطيه مائة من الإبل.

فتشاءم عبد الله منها وأنشأ يقول:

**أمّـــا الحـــرام فـــالمـــمات دونـــه والحـــل لا حـــل فـأستـبـيـنـه**

**فكيـف بـالأمـر الـذي تبغينـــه**

ثمّ إنَّه ذهب مع أبيه فزوّجه آمنة بنت وهب، فبقي عندها يوماً وليلة، فحملت بالنَّبي ﷺ وبعد ذلك رأته فاطمة بنت مرّة فلم تعرض عليه رغبتها الأُولى، فتساءل منها عن سبب إعراضها بعد رغبتها؟

فأجابته: بأن ماذا صنعت بعد ذهابك عنّا؟

فأجابها عبد الله: تزوّجت آمنة بنت وهب.

(١) إرشاد القلوب/ ج٢/ ص٤١٥.

(٢) بحار الأنوار/ ج٩٧/ ص١٨٧.

(٣) المصدر نفسه/ ج٩٨/ ص٢٠٠.

وعندها قالت:

لله ما زهرية (*) سلبت ثوبيك ما سلبت وما تدري

ثمّ قالت: رأيت في وجهك نور النبوّة فأردت أن يكون فيّ، وأبى الله إلّا أن يضعه حيث يحبّ، ثمّ قالت:

**بني هاشم قد غادرت من أخيكم أمينة إذ للباه يعتلجان**

**كما غادر المصباح بعد خبوه فتايل قد شبّت له بدخان**

**ما كل ما يحوي الفتى من نصيبه بحرص ولا ما فاته بتواني(**)**

## الملائكة تحرس عبدالله عليه السلام

بالإضافة إلى كل ما ذكرنا من الصِّفات الحميدة والخصال الحسنة التي جعلت الخطّاب يتنافسون من أجل الوصول إلى عبد الله عليه السلام إلاّ أنّ هناك حادثة خاصّة جعلت وهب بن عبد المناف يقدّم ابنته آمنة ويطلب بنفسه من عبد المطّلب أن يكون عبد الله صهراً له.

فقد نقل أنّ عبد الله لمّا ترعرع واشتدّ ساعده، ركب يوماً ليصيد، وقد نزل بالبطحاء[1] قوم من اليهود كانوا قد قدموا لقتل والد النبي صلى الله عليه وآله وإطفاء نور الله المودع في صلبه، فنظروا إليه فرأوا سمات الأنبياء عليهم السلام فيه فقصدوه وكانوا ثمانين نفراً حاملين السّيوف، وكان والد السّيّدة آمنة في نفس المنطقة يصيد وقد رأى اليهود قد احتوشوا عبدالله ليقتلوه، فأراد أن يدفعهم عنه وإذا بجمع من الملائكة معهم الأسلحة قد طردوهم عنه، فتعجّب من ذلك وجاء إلى عبد المطّلب وقال له: زوّج بنتي آمنة من عبد الله[2].

## وهب يخطب عبد الله لابنته

في بعض التَّواريخ: إنّ اليهود لما عرفوا أنَّه سيخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من صلب عبد الله عليه السلام همّوا بقتل عبد الله عليه السلام فرآهم وهب بن عبد المناف في المعركة، فأتى الحرم المكّي وأخبر بني هاشم، فهبّوا مسرعين لإنقاذ عبد الله.

ولمّا رآهم اليهود أيقنوا بالهلاك وتظاهروا أنّهم لم يقصدوا أذيّته إلاّ أنّه لم يقبل منهم وطاردهم مع بني هاشم

(*) المراد بالزهرية: آمنة –عليها السلام–، أي إنها لم تسلب ثوبيك فقط حين قاربتها وإنما سلبت منك شيئاً عظيما وهو نور النبوة التي كان في صلبك.

(**) مناقب آل أبي طالب: ج١/ ص٢٦.

(١) مسيل فيه دقاق الحصى، والجمع الأباطح والبطاح، معجم البلدان/ ج١/ ص٤٤٤.

(٢)الخرائج والجرائح/ ج١/ ص١٢٩.

وتشابكوا معهم وقتلوا منهم قسماً والبقية أخذوهم إلى مكّة أُسارى.

ثم أقبل عبد المطّلب ﷺ إلى ولده عبد الله ﷺ وقال له: يا ولدي لولا وهب بن عبد مناف أخبرنا بأمرك ما علمنا بأمرك ولكن الله -تعالى- يحفظك.

فلمّا أشرفوا على مكّة المكرّمة خرج الناس يهنّئونهم بالسَّلامة وإذا باليهود مقيّدين فأخذوا يرشقونهم بالحجارة، فقام عبد المطّلب وقال: أرسلوا بهم إلى دار وهب حتّى يستقصوا على أموالهم ولم يبقَ لهم شيء، فأرسلوهم إلى دار وهب.

وفي نفس الليلة أقبل وهب على زوجته برّة بنت عبد العزّى وقال لها: لقد رأيت اليوم عجباً من عبد الله ما رأيته من أحد، رأيته وهو يكرّ على اليهود كالليث، وكلّما رماهم بنبلة قتل منهم إنساناً، وهو أجمل الناس وجهاً، فامضي إلى والده واخطبيه لآمنة واعرضيها عليه، فعسى أن يقبلها، فإن قبلها سعدنا سعادة عظيمة.

فقالت له: يا وهب إنّ رؤساء مكّة وأشراف العرب قد رغبوا فيه فأبى عن ذلك، فكيف يتزوّج بابنتنا وهي قليلة المال؟

فقال لها: إنّ لي عليهم فضل حيث إنّني أخبرتهم بأمر عبد الله مع اليهود.

ثمّ إنّ والدة السيّدة آمنة خرجت إلى دار عبد المطّلب ﷺ، فرحّب بها كثيراً وقال لها: لقد كان لزوجك اليوم علينا فضل لا نقدر أن نكافيه أبداً، وله أياد بالغة بذلك وسنجازيه بما فعل إن شاء الله تعالى، فاذهبي إليه وأبلغيه عنّا التَّحية والإكرام وقولي له: إن كانت لـه إلينا حاجة تُقضى إن شاء الله مهما كانت.

فاسترّت برّة وقالت: قد علمنا أنّ ملوك الشام والعراق وغيرهم رغبوا في ولدكم يطلبون أنواركم المضيئة ونحن أيضاً طمعنا فيمن طمع في ولدكم عبد الله، وقد رجا وهب أن يكون عبد الله زوجاً لابنتنا، وقد جئناكم طامعين ونسألكم أن تقبلونا، فإن كان مالها قليلاً فعلينا ما نجمّلها به وهي هديّة منّا لابنك عبد الله.

فلمّا سمع عبد المطّلب ﷺ كلامها نظر إلى عبد الله وكان قبل ذلك إذا عرض عليه التزويج من بنات الملوك يظهر في وجهه الامتناع وقال له: ما تقول يا بني فيما سمعت؟ فو الله ما في بنات أهل مكّة مثلها، فهي المحتشمة في نفسها، الطَّاهرة المطهّرة.

فسكت عبد الله ﷺ ولم يجب.

فعلم عبد المطّلب ﷺ أنّه قد مال إليها، فقال: قد قبلنا دعوتكم ورضينا بابنتكم.

وحينذاك قالت فاطمة زوجة عبد المطّلب: أنا أمضي معك إليها لأنظر إلى آمنة، فإن كانت تصلح لولدي رضينا بها.

فرجعت برّة مسرورة بما سمعت، وقد سمعت هاتفاً في الطريق يقول: بخٍ بخٍ لكم، قد قرب خروج المصطفى ﷺ.

فدخلت على زوجها، فقال: وما وراءك؟

فأخبرته الخبر وقالت له: اعلم أنّ عبد المطّلب قد رضي بابنتك، إلاّ أنّ فاطمة والدته تريد أن تنظر إلى ابنتك آمنة، فإن رضيت بها وإلاّ لم يكن شيئاً، وإنّي أخاف أن لا ترضى بها.

فقال لها وهب: أُخرجي فوراً إلى ابنتك وزيّنيها، فعسى أن ترغب فاطمة فيها؟!

فعمدت برّة إلى بنتها وألبستها أفخر ما عندها من الثياب وقالت لها: يا بنية إذا أتتك فاطمة فتأدّبي معها بأحسن الأدب.

وبينما هما على ذلك إذ أقبلت فاطمة وخرج وهب من المنزل وإذا بعبد المطّلب ﷺ، فأدخلوا فاطمة، فقامت لها السيّدة آمنة إجلالاً وتعظيماً ورحّبت بها أحسن التَّرحيب.

فنظرت إليها فاطمة فأعجبت بها جدّاً وقالت لوالدتها: يا برّة ما كنت عهدت أنّ آمنة على هذه الصّورة؟ علماً أنّني كنت قد رأيتها قبل ذلك مراراً وكراراً.

فقالت برّة: يا فاطمة كل ذلك ببركتكم علينا.

فقامت فاطمة وأتت إلى عبد المطّلب وعبد الله ﷺ وقالت: يا ولدي ما في بنات العرب مثلها أبداً، ولقد ارتضيتها، وإنّ الله تعالى لا يودع هذا النّور إلاّ في مثل هذه[1].

## الزَّواج الميمون

نقل العلّامة المجلسي –رحمة الله عليه– في (بحار الأنوار): أنّه لمّا حضرت ساعة عقد عبد الله ﷺ من آمنة ﷺ قام عقيل بن أبي وقّاص وقال:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعلنا من نسل إبراهيم، ومن شجرة إسماعيل، ومن غصن نزار، ومن ثمرة عبد مناف، ثمّ أثنى على الله تعالى ثناء بليغاً وقال فيه جميلاً وعقد النّكاح، ونظر إلى وهب وقال: يا أبا الوادح

(١) راجع بحار الأنوار/ ج١٥/ ص٩٧.

زوّجت كريمتك آمنة من ابن سيّدنا عبد المطّلب على صداق أربعة آلاف درهم بيض هجرية جياد وخمسمائة مثقال ذهب أحمر.

فقال: نعم.

ثمّ التفت إلى والد النّبي ﷺ وقال: يا عبد الله قبلت هذا الصداق يا أيّها السّيّد الخاطب؟

قال: نعم، وعندها دعا لهما بالخير والكرامة.

وأمر وهب أن تقدّم المائدة، فقدّمت مائدة خضرة فوضع الطّعام وأكل الناس وشربوا، ونثر عبد المطّلب ﷺ على ولده قيمة ألف درهم من النّثار وكان متّخذاً من مسك ومن عنبر ومن سكّر ومن كافور، ونثر وهب كذلك بقيمة ألف درهم عنبراً وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً[١].

## ليلة الزَّفاف

عندما فرغ النَّاس من مراسم القِران نظر عبد المطّلب إلى والد السّيّدة آمنة وطلب منه أن تزفّ آمنة إلى عبد الله ﷺ، فاستغرب وقال: بهذه السرعة؟

فأعرب عبد المطّلب عن شديد رغبته في رؤية زواج ابنه قبل وفاته.

فما كان من وهب إلّا أن دخل على زوجته برّة وقال لها: اعلمي أنّ عبد المطّلب راغب أن يجمع بين ولده عبد الله وزوجته آمنة.

فقامت المرأة من وقتها مع بعض النّساء وأعددن السيّدة آمنة، وما أن غربت الشّمس حتّى زفّت إلى بيت عبد الله. وفي نفس تلك الليلة جاء وهب وقال لعبد المطّلب: أقدم على العروس.

فقام عبد المطّلب إلى العروس وقبّل ما بين عينيها وقال لولده عبد الله: اجلس يا ولدي معها وافرح برؤيتها.

فقعد عبد الله ﷺ إلى جنب العروس وفرح عبد المطّلب، وكان من عبد الله إلى أهله ما يكون من الرّجال إلى النّساء[٢].

---

(١) بحار الأنوار/ ج١٥/ ص٢٨١.

(٢) راجع المصدر نفسه/ ج١٥/ ص٢٨١.

## من مؤامرات اليهود

وعندما جرى الكلام بين وهب وعبد المطّلب في أمر السيّدة آمنة عليها السلام، قال وهب: يا أبا الحارث هي هدية منّي إليك بغير صداق معجّل ولا مؤجّل.

إلاّ أنّ عبد المطّلب عليه السلام رفض وقال: جزيت خيراً يا وهب ولابدّ من صداق ويكون بيننا وبينك من يشهد به من قومنا.

ثمّ إنّ عبد المطّلب أراد أن يقدّم إليه شيئاً من المال ليصلح به شأنها وإذا به يسمع همهمة وأصواتاً، فتحرّى هو ووهب عن الخبر، وإذا باليهود الذين كانوا محبوسين في دار وهب قد تآمروا لقتل عبد المطّلب وعبد الله، فساروا إلى دار وهب فكانوا يرون عبد الله ووالده ووهب وهم لا يرونهم، فرموهم بالحجارة فردّها الله عزّوجلّ عليهم.

ثمّ إنّ عبد المطّلب خرج مع عبد الله وفاطمة إلى منزلهم، وقالوا: يا وهب إذا كان في الغد جمعنا قومنا وقومك ليشهدوا بما يكون من الصّداق.

فقال: جزاك الله خيراً فلمّا طلع الفجر أرسل عبد المطّلب إلى بني عمّه ليحضروا خطبتهم، وجمع وهب أيضاً قرابته وبني عمّه، فاجتمعوا في الأبطح.

فلمّا أشرف عليهم الناس قاموا إجلالاً لعبد المطّلب وأولاده، ثمّ إنّه لمّا استقرّ بهم المجلس خطبوا خطبتهم وعقدوا عقد النّكاح وقام عبد المطّلب فيهم خطيباً، فقال:

الحمد لله حمد الشَّاكرين، حمداً استوجبه بما أنعم علينا وأعطانا وجعلنا لبيته جيراناً ولحرمه سكّاناً وألقى محبّتنا في قلوب عباده وشرّفنا على جميع الأُمم ووقانا شرّ الآفات والنّقم، والحمد لله الذي أحلّ لنا النّكاح وحرّم علينا السّفاح وأمرنا بالاتّصال وحرّم علينا الحرام، اعلموا أنّ ولدنا عبد الله هذا الذي تعرفونه قد خطب فتاتكم آمنة بصداق معجّل ومؤجّل كذا وكذا، فهل رضيتم بذلك من ولدنا؟

قال وهب: قد رضينا منكم.

فقال عبد المطّلب: اشهدوا يا من حضر.

ثمّ تصافحوا وتهانوا وتصافقوا وتعانقوا وأولم عبد المطّلب وليمة عظيمة فيها جميع أهل مكّة وأوديتها وشعابها

وسوادها، فأقام الناس في مكّة أربعة أيّام[١].

## محاولة اغتيال السيّدة آمنة

بعد أن قدمت زرقاء اليمامة [٢] من الشام إلى مكّة المكرّمة واطّلعت على النّور العظيم الذي يحمله والد النبي ﷺ وكيف إنّه انتقل إلى السيّدة آمنة عليها السلام عمدت إلى تدبير مخطّط تتخلّص من خلاله من آمنة عليها السلام وتطفأ النّور الإلهي المودع في أحشائها.

وبالفعل، فقد أخذت تلك المرأة تفكّر في الحيلة التي تتخلّص من خلالها من السيّدة فانتهى فكرها إلى ما يلي:

أن تجهّز من الماشطات حتّى يقتلنها، فعثرت على امرأة من الخزرج اسمها "تكنا" وكانت ماشطة للسيّدة آمنة، فلمّا كان في بعض الليالي استيقظت "تكنا" فرأت عند رأس الزّرقاء شخصاً يحدّثها ويقول:

ويلك يا زرقاء! لقد نزل بنا أمر عظيم، كنّا نصعد إلى السّماء السّابعة ونسترق السمع، وفي هذه الأيام الأخيرة طردنا من السماء وسمعنا منادياً ينادي في السّماوات: أنّ الله قد أراد أن يظهر المكسّر للأصنام ومظهر عبادة الرّحمن فامتنعوا جملة الشَّياطين من السَّماء ورمتنا الملائكة بشهب من نار، وقد جئتك لأُحذّرك.

فلمّا سمعت زرقاء كلامه قالت له: انصرف عنّي، فلابدّ أن أجتهد في قتل هذا المولود.

ثمّ إنّه فارقها و"تكنا" تسمع ما جرى بينهما، فأتت إلى الزّرقاء وقالت لها: ما لي أراك مغمومة؟

قالت لها: يا ويلك إنّ همّي وحزني من حامل مولود يدعو إلى تكسير الأصنام ويذلّ السّحرة والكهّان، فلو وجدت من يساعدني على قتل آمنة بذلت له الجزيل من الأموال والهدايا، وعمدت إلى كيس كان معها فأفرغته بين يدي "تكنا" وكان مالاً جزيلاً.

فلمّا نظرت "تكنا" إلى المال أغراها وراقها بريقها، وقالت لها: يا زرقاء لقد ذكرت أمراً عظيماً إلاّ أنّني سأفكّر لك فيما ذكرت، ولكن كيف أجسر على ما وصفت والوصول إلى ما ذكرت؟

فقالت الزّرقاء: إذا دخلت عليها وجلست عندها فاقبضي على ذوائبها [٣] واضربيها بهذا الخنجر فإنّه مسموم، وإذا وقعت عليك التّهمة أو وجبت عليك ديّة فأنا أقوم بخلاصك وأدفع عنك فما أنت قائلة؟

---

(١) راجع بحار الأنوار/ ج١٥/ ص٩٧.

(٢) زرقاء اليمامة بنت مرهل كاهنة اليمامة وداهية الدهياء.

(٣) الذؤابة: المضفورة من شعر، كتاب (العين) مادة ذأب .

قالت: إنّي أجبتك لكن أُريد منك الحيلة بأن تشغلي بني هاشم عنّي.

فقالت الزّرقاء: لا عليك أنا أشغلهم عنك.

ثمّ إنّ الزّرقاء أعطت "تكنا" الخنجر المسموم وقالت لها: قومي إلى حاجتك، فقامت ودخلت على السيّدة آمنة عليها السلام فرحّبت بها وسألتها عن أحوالها وقالت: يا "تكنا" لقد انقطعت عنّا؟

فقالت: اشتغلت بهمّي وحزني، ولولا فضلكم علينا لكنّا بأقبح حال ولا أحد أعزّ عليّ منك، هلمّي يا بنيّة إليّ حتّى أُزيّنك.

فجاءت السيّدة آمنة عليها السلام وجلست بين يديها، فلمّا فرغت من تسريح شعرها عمدت إلى الخنجر وأرادت أن تضربها به فحسّت كأنّ أحداً قبض على قلبها فغشي على بصرها فسقط الخنجر من يدها إلى الأرض، فصاحت وا حزناه.

فالتفتت السيّدة آمنة عليها السلام إليها وإذا الخنجر قد سقط من يدها، فصاحت السّيّدة آمنة، فتبادرت النّسوان إليها وقلن لها: ما دهاك؟

قالت: أما ترين ما جرى عليّ من "تكنا"؟ لقد كادت أن تقتلني بهذا الخنجر المسموم.

فقلن: يا "تكنا" ما أصابك، ويلك تريدين أن تقتلي آمنة؟

فقالت: نعم، لقد أردت قتلها.

فقالت لها النساء: يا "تكنا" ما حملك على ذلك؟

قالت: لا تلوموني حملني طمع الدّنيا والغرور، ثمّ أخبرتهنّ بالقصة وقالت لهنّ: ويحكنّ دونكنّ الزرقاء اقتلنها قبل أن تفوتكنّ[1].

## فترة الحمل

إنّ مرحلة حمل السّيّدة آمنة عليها السلام بالنبي محمد صلى الله عليه وآله كانت مليئة بالخيرات والبركات وما يؤكد على قداسة الرَّسول صلى الله عليه وآله ومدى علوّ مقامه عند الله تعالى وارتفاع شأنه العالي لديه.

فقد نقل العلاّمة المجلسي -قدس سره- قائلاً:

لمّا مرّ على رسول الله صلى الله عليه وآله في بطن أُمّه شهران أمر الباري -تعالى- منادياً في السّماوات والأرضين، أن ناد في السماوات

(١) بحار الأنوار/ ج١٥/ ص٣٢٢.

والأرض والملائكة: أن استغفروا لمحمّد ﷺ وأُمّته، كل هذا ببركة النبي ﷺ.

ولمّا أتى على رسول الله ﷺ في بطن أُمّه ثلاثة أشهر كان أبو قحافة راجعاً من الشام، فلمّا بلغ مشارف مكّة وضعت ناقته جمجمتها على الأرض ساجدة وكان بيده قضيب فضربها، فلم ترفع رأسها، فقال أبو قحافة: فما أرى ناقة تركت صاحبها، وإذا بهاتف يقول: لا تضرب يا أبا قحافة من لا يطيعك ألا ترى أنّ الجبال والبحار والأشجار سوى الآدميين سجدوا لله !.

فقال أبو قحافة: يا هاتف وما السبب في ذلك؟

قال: سترى يا أبا قحافة إن شاء الله تعالى.

يقول أبو قحافة: فوقفت ساعة حتّى رفعت النّاقة رأسها وجئت إلى عبد المطّلب فأخبرته.

ولمّا أتى على رسول الله ﷺ أربعة أشهر كان زاهد على الطَّريق من الطائف وكان له صومعة[١] بمكّة على مرحلة قال: فخرج الزَّاهد وكان اسمه حبيباً فجاء إلى بعض أصدقائه بمكّة، فلمّا بلغ أرض الموقف إذا بصبي قد وضع جبينه على الأرض وقد سجد على جمجمته، فدنا حبيب منه وأخذه وإذا بهاتف يهتف ويقول: خلّ عنه يا حبيب ألا ترى إلى الخلائق من البر والبحر والسهل والجبل قد سجدوا لله شكراً[٢].

## الميلاد المبارك

ومن الأُمور المهمّة التي دوّنها المؤرخون في سيرة السّيّدة آمنة -سلام الله عليها- هي لحظات ولادتها المباركة للرسول الأعظم ﷺ التي لم يشهد التاريخ مثلها قطّ.

فقد رافقت تلك الولادة الميمونة أحداث ووقائع مهمّة تدلّ على عظمة ذلك المولود المبارك الذي أطلّ على الوجود، فملأ العالمين ضياءً وغطّى الكون الواسع بركة وجلالة.

لقد شاءت إرادة السماء أن تهدي للبشرية هديّتها العظمى التي لم ولن يُعرف قدرها إلى قيام يوم الدين، فها هو سيّد المرسلين محمدﷺ الذي طالما بشّرت به الرسالات السابقة وأكّدت على جلالة قدره وعظمة شأنه الرَّفيع يطرق الأبواب ليجلب معه أنوار الهداية إلى البشرية جمعاء.

فما أعظم تلك اللحظات؟!

(١) الصومعة: منار الراهب، (لسان العرب) مادّة صمع.

(٢) بحار الأنوار/ ج١٥/ ص٢٨٤.

وما أقدس جلالة قدرها؟!

فقد روي أنّ السّيّدة فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين عليه السلام كانت حاضرة في الليلة التي ولدت فيها السّيّدة آمنة بنت وهب أُمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ورأت مثل الذي رأته، فلمّا كان الصبح انصرف أبو طالب عليه السلام من الطّواف فاستقبلته، ثم قالت له: لقد رأيت الليلة عجباً.

قال لها: ما رأيت؟

قالت: ولدت آمنة بنت وهب مولوداً أضاءت له الدّنيا بين السّماء والأرض نوراً حتّى مددت عيني فرأيت سعفات[١] هجر[٢].

فقال لها أبو طالب عليه السلام: انتظري سبتاً تأتين بمثله، فولدت أمير المؤمنين عليه السلام بعد ثلاثين سنة، وهكذا روي أنّ السبت ثلاثون سنة[٣].

## البشارة العظمى

على الرغم من أنّ ولادة الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله رافقها العديد من المبشّرات من الأحداث المهمّة التي تدلّ على عظمته صلى الله عليه وآله إلاّ أنّ هناك بشارة عظيمة تفوقها جميعها، ألا وهي البشارة بقدوم مكمّل الرسالة وهادي الناس من الضَّلالة وصي المصطفى المختار ووالد الأئمّة الأطهار أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فعن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "لمّا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشَّام، فجاءت فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين إلى أبي طالب ضاحكة مستبشرة فأعلمته ما قالته آمنة، فقال لها أبو طالب: وتتعجّبين من هذا إنّك تحبلين وتلدين بوصيّه ووزيره"[٤].

## وفاة والد النبي صلى الله عليه وآله

بقي عبد الله عليه السلام بعد زواجه من السّيّدة آمنة عليها السلام أربعين يوماً لا يخرج من داره، ثمّ خرج فنظر أهل مكّة إليه وإذا بالنور الذي كان يشرق في جبينه قد فارق موضعه.

ولمّا أتى على رسول الله صلى الله عليه وآله شهر واحد في بطن أُمّه نادت الجبال والأشجار والسماوات بعضها بعضاً مستبشرين قائلين:

(١) السعفات جمع سعفة بالتحريك: جريدة النخل ما دامت بالخوص. (مجمع البحرين) مادّة سعف.

(٢) هَجَر: بلدة باليمن واسم لجميع أرض البحرين وقرية كانت قرب المدينة، كتاب (العين) مادّة هجر.

(٣) روضة الواعظين/ ج١/ ص٨١.

(٤) الكافي/ ج١ ص٤٥٤.

ألا إنّ محمّداً قد سقط في رحم أُمّه آمنة وقد مضى عليه شهر، ففرح بذلك الجبال والبحار والسماوات والأرضون.

آنذاك ورد على عبد المطّلب ﷺ كتاب من يثرب يخبره بموت فاطمة بنت عبد المطّلب، وكان ممّا في طيّاته أنّها ورّثت مالاً كثيراً خطيراً، فاخرج أسرع ما تقدر عليه.

فقال عبد المطّلب لولده عبد الله: يا ولدي لابدّ لك أن ترافقني إلى المدينة، فسافر مع والده ودخلا مدينة يثرب فاستلم عبد المطّلب المال. ولمّا مضى من على دخولهما المدينة عشرة أيّام اعتلّ عبد الله علّة شديدة، وبقي خمسة عشر يوماً وفي اليوم السادس عشر مات عبد الله، فبكى عليه أبوه عبد المطّلب بكاءً مرّاً وشقّ سقف البيت لأجله في دار فاطمة بنت عبد المطّلب آنذاك، وبينما كان عبد المطّلب غارق في أحزانه إذا بهاتف يهتف ويقول: قد مات من كان في صلبه خاتم النّبيّين وأي نفر لا يموت، فقام عبد المطّلب فغسّله وكفّنه ودفنه في محلّة يقال لها (شين) وبنى على قبره قبّة عظيمة من جص وآجر[١].

وفي رواية: إنَّ عبد الله خرج إلى الشام يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم ثمّ انصرفوا، فمرّوا بالمدينة وعبد الله بن عبدالمطّلب يومئذ مريض فقال: أتخلّف عند أخوالي بني عدي بن النجّار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكّة، فسألهم عبد المطّلب عن عبد الله، فقالوا: خلّفناه عند أخواله بني عدي بن النّجّار وهو مريض.

فبعث إليه عبد المطّلب أعظم ولده الحارث فوجده قد توفّي في دار النَّابغة فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد[٢] عليه عبدالمطّلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ورسول الله ﷺ يومئذ حمل ولعبد الله يوم توفّي خمس وعشرون سنة[٣].

## السّيّدة آمنة عليها السلام تفجع بزوجها

عندما وصل خبر وفاة عبد الله إلى السيّدة آمنة عليها السلام بكت بكاءً مرّاً وحزنت عليه حزناً شديداً، ودعت بالنّائحات ينحن عليه ويندبنه.

وقد جاءها بعد ذلك عبد المطّلب ﷺ إلى دارها وطيّب خاطرها وهدّأ من روعها، ووهب لها ألف درهم بيض وتاجين قد اتّخذهما عبد مناف لبعض بناته وقال لها: يا آمنة لا تحزني فإنّك عندي جليلة لأجل من في بطنك ورحمك فلا تهتك أمرك[٤].

---

(١) راجع بحار الأنوار/ ج١٥/ ص٢٨٣.

(٢) الوجد: الحزن، كتاب (العين) مادّة وجد.

(٣) بحار الأنوار/ ج١٥/ ص١٢٥.

(٤) راجع الفضائل/ ص١٤.

## وفاة السيدة آمنة عليها السلام

روي إنّه لمّا كبر رسول الله صلى الله عليه وآله ردّته مرضعته السيّدة حليمة السعدية إلى أُمّه فافتطمته وأخذته إلى أخواله من بني عدي بن النجّار بالمدينة، ثمّ رجعت به حتّى بلغا "الأبواء"[١] فماتت بها (سلام الله عليها) فيتم النبي صلى الله عليه وآله وكان عمره آنذاك ست سنين..

فرجعت به صلى الله عليه وآله أُمّ أيمن إلى مكّة المكرّمة وكانت تحضنه[٢].

## من فضائل السيّدة آمنة عليها السلام

ممّا يؤسف لـه حقّاً أنّ سيرة أُمّهات المعصومين عليهنّ السلام وفضائلهم الرَّفيعة مجهولة في التاريخ عادة، وعند المسلمين أيضاً، ففي أهم المصادر التاريخية لا يكاد يجد الإنسان شيئاً إلا القليل عن تاريخ هؤلاء النّسوة الأخيار، وكيف أنّهنّ كنّ يخدمنَ المعصومين عليهنّ السلام ويجهدن بكل ما لديهم من طاقة من أجل رعاية أبنائهنّ المعصومين عليهنّ السلام وإن كانت عناية السّماء ترعاهم وتسدّدهم قبلهم.

ولكن القرائن الكثيرة هي التي تدل على عظيم مقامهن، فالسيّدة آمنة عليها السلام يمكن معرفة شيء من عظمتها وجلالتها عبر هذه القرائن وغيرها:

١: إنّها عليها السلام كانت في سلسلة الأرحام المطهّرة التي ورد ذكرها في الرّوايات الشّريفة.

٢: إنّها عليها السلام كانت زوجة لعبد الله عليه السلام والد النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهذا توفيق خاصّ لا تناله إلاّ من كانت لها الحظّ العظيم.

٣: إنّها عليها السلام حملت برسول الله صلى الله عليه وآله وكانت لـه وعاءً ضمّته تسعة أشهر.

٤: إنّها عليها السلام أصبحت أُمّاً لسيّد الكونين ورسول العالمين محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

٥: إنّها عليها السلام كانت تكنف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وترعاه من كيد المناوئين طيلة أيّام حياتها.

٦: إنَّها عليها السلام قد ترحّم عليها الرسول صلى الله عليه وآله وزار قبرها وبكى عليها عند ذلك.

ففي التاريخ إنّه لمّا توفّيت آمنة رجعت أُمّ أيمن بالنبي صلى الله عليه وآله إلى مكّة، ثمّ إنَّه لمّا مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية بالأبواء قال: إنّ الله قد أذن لي في زيارة قبر أُمّي فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء

(١) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة ممّا يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا، معجم البلدان: ج١/ ص٧٩.

(٢) الطبقات الكبرى / ج١ / ص٧٧.

رسول الله ﷺ فقيل له، فقال: أدركتني رحمة رحمتها فبكيت[١].

٧: إنَّها عليها السلام يستحب الطّواف عنها لقضاء الحوائج.

ففي الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام ما يدلّ بوضوح على أنّ للسيّدة آمنة عليها السلام مقاماً عظيماً عند الله، وأنّها من صفوة أولياء الله الذين يتوسّل بهم لقضاء الحوائج.

فعن داود الرّقّي قال: **"دخلت على أبي عبد الله ﷺ ولي على رجل مال قد خفت تواه فشكوت إليه ذلك، فقال لي: إذا صرت بمكّة فطف عن عبد المطّلب طوافاً وصلّ ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصلّ عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلّ عنها ركعتين، ثمّ ادع أن يردّ عليك مالك، قال: ففعلت ذلك، ثمّ خرجت من باب الصّفا وإذا غريمي واقف يقول: يا داود حبستني تعال اقبض مالك"**[٢].

## دفع شبهة

ممّا يؤسف لـه أنّ بعضًا من الناس يذهب إلى أنّ السّيّدة آمنة بنت وهب عليها السلام والدة النَّبي ﷺ لم تكن مؤمنة، ويزعمون أنَّها قد ماتت على ذلك، ولولا أنّ الرَّسول ﷺ استشفع لها واستوهبها من الله فوهبها له، لكانت من المخلّدين في الجحيم!.

ولم يقتصر هؤلاء على ذلك وإنّما أخذوا يفسرون بعض الروايات كما يشاؤون ويستدلون بتفسيرهم على ذلك.

منها: قول النّبي ﷺ: "إنّي مستوهب من ربّي أربعة، وهو واهبهم لي إن شاء الله تعالى: آمنة بنت وهب، وعبد الله بن عبد المطّلب وأبو طالب بن عبد المطّلب، ورجل من الأنصار جرت بيني وبينه ملحة"[٣].

ولكن في المقابل ينبغي الالتفات إلى الأُمور التَّالية:

**أوّلاً**: رسول الله ﷺ بنفسه يصرّح في أكثر من حديث أنّه كان يتنقّل من الأصلاب الطَّاهرة والأرحام المطهّرة، وهذا ينافي الشِّرك الذي هو دنس ورجس، ففي الحديث الشَّريف عنه ﷺ: "لم أزل أنقل من أصلاب الطّاهرين إلى أرحام الطّاهرات"[٤].

وقال رسول الله ﷺ: **"إنّ الله أخرجني ورجلاً معي من طُهر إلى طُهر، من صلب آدم حتّى خرجنا من صلب أبينا،**

(١) بحار الأنوار/ ج١٥/ ص١٦٢.
(٢) الكافي/ ج٤/ ص٥٤٤.
(٣) قرب الإسناد/ ص٢٧.
(٤) القصص للجزائري/ ص١٠٨.

**فسبقته بفضل هذه على هذه ـ وضمّ بين السّبّابة والوسطى ـ وهو النبوّة"**[١].

فقيل له: ومن هو يا رسول الله؟

قال: "علي بن أبي طالب"[٢].

فكيف يصف الرسول ﷺ الرحم الذي كان فيه بالطهر والحال أنّ الآية الكريمة تصرّح بنجاسة المشركين فتقول: (إنّما المشركون نجس)[٣]، فيعلم من هذا أنَّ آمنة عليها السلام كانت مؤمنة بالله عزوجل وموحّدة لربّ العالمين على دين إبراهيم عليه السلام.

**ثانياً**: نفس الحديث الذي استدلّوا به يدلّ على إيمان السيّدة آمنة عليها السلام، إذ أنّه كيف يستوهب الرسول ﷺ لمشرك وإن كانت أُمّه، والحال إنّ الله-تعالى- قد نهى عن موادّتهم والشّفاعة أو الدعاء لهم.

**ثالثاً**: ممّا يؤيّد القول بإيمان السيّدة آمنة عليها السلام هي الرّوايات الصَّريحة التي تنصّ على أنّ الله-تعالى- قد حرّم النار على بطن حمل الرسول ﷺ، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: "نزل جبرئيل على النبي ﷺ فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول: إنّي قد حرّمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب الذي أنزلك فعبد الله بن عبد المطّلب، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأمّا الحجر الذي كفلك فحجر أبي طالب"[٤].

**رابعاً**: زيارة النبي ﷺ لقبرها وترحّمه عليها يدلّ أيضاً على أنّها كانت مؤمنة بالله عزّوجلّ، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "استأذنت ربّي في زيارة أُمّي، فأذن لي، فزوروا القبور تذكّركم الموت"[٥].

---

(١) الأمالي للطوسي/ ص٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه/ ص٣٤٠.

(٣) سورة التوبة/ الآية: ٢٨.

(٤) الكافي/ ج١/ ص٤٤٦.

(٥) كشف الغمّة/ ج١/ ص١٦.

# من أدوار السيدة أم كلثوم عليها السلام

الشيخ حيدر حسن

من يقرأ في سيرة هذه السّيّدة الجليلة يطالعه هذا السُّؤال: ما السَّبب في أنّه ليس لأم كلثوم ذكر كثير، مثل السّبطين وزينب عليهما السلام؟!.

والجواب: عن السَّبب في عدم ذكر أم كلثوم كثيراً، ما يلي:

إنَّه مع وجود الأئمة الأطهار عليهم السلام، ومع وجود السيدة زينب عليها السلام، فإنَّ طبيعة الأمور تقضي بأن تكون الحركة العامة والفاعلة والمؤثّرة هي لهؤلاء، دون سواهم.

وذلك لأنَّهم القادة الحقيقيون ولهم دون غيرهم السِّيادة، ولا يسمح الوجدان، والإنصاف والدِّين، لأحد سواهم أن يدخل في وهمه أن يجاريهم، فضلاً عن أن يتقدَّمهم، أو أن يعتقد لنفسه حقّاً في شيء من ذلك دونهم.

## سيّد الأوصياء علي عليه السلام مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

وقد كان هذا هو حال الإمام علي -صلوات الله عليه- مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنَّك لا تكاد تجد ذكراً كثيراً لأمير المؤمنين -صلوات الله عليه- آنذاك، إلَّا في حدود العمل بالواجب الموكل إليه، وتنفيذ أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله. فكان -صلوات الله عليه- الرجل السَّامع المطيع لله ولرسوله. الذي لا يجيز لنفسه أن يكون له صوت أو حركة إلا في سياق الاستجابة إلى ما يطلبه رسول الله منه، ويدفعه إليه.

وذلك يجعلك تشعر أنَّ رسول الله ﷺ هو المتصرّف في الأمور، وهو وحده الذي يحكم ويقرّر في كلّ شيء.

أما غير أمير المؤمنين علي ﷺ، فإنَّهم كانوا جريئين على رسول الله ﷺ، فهم يعترضون ويجادلون، ويقترحون، ويرفضون، بجرأة تارة، ويقبلون على مضض أخرى، أو عن رضى ثالثة، ثم تعلو أصواتهم في بعض الحالات، حتى إذا جاء التَّهديد الإلهي كما حصل بالنسبة لقوله -تعالى-: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)**[1].. فإنهم يستكينون ويسكتون حتى لا تكاد تسمع لهم صوتاً إلَّا على سبيل الهمس والإشارة.

ولم يكن علي ﷺ كهؤلاء أبداً، بل هو يرى أنَّ للنبي ﷺ ـ دون سواه ـ الأمر والنَّهي، والقرار والموقف، وليس عليه هو وعلى غيره إلَّا السَّمع والطَّاعة، والانقياد والتَّسليم..

وكان ذلك هو حال الإمامين الحسنين مع أبيهما عليهما السلام، وحال الإمام الحسين ﷺ مع الإمام الحسن ﷺ.

وهكذا كان حال الوصي هارون ﷺ مع النَّبي موسى ﷺ، فإنَّ حال هؤلاء جميعاً لا يختلف عن حال الإمام علي ﷺ مع رسول الله ﷺ.

وكذلك الحال بالنسبة للسيدة زينب عليها السلام، فإنَّ دورها الظَّاهر إنَّما هو في قضيّة كربلاء، ودور الزَّهراء عليها السلام الظَّاهر إنَّما هو فيما جرى بعد رسول الله ﷺ.. وفيما عدا ذلك، فإنَّ الحركة والنَّشاط بمختلف أشكاله إنَّما كان لأبيها عليها السلام، ولأمير المؤمنين، وللحسنين -صلوات الله عليهم-.

وقد كان نفس تجسّد كمال الزَّهراء عليها السلام. ونفس وجودها المقدَّس هو المطلوب، وهو الغاية. وكذا الحال في زينب وخديجة، وأم سلمة، وغيرهنَّ من النِّساء الصَّالحات -عليهنَّ السلام-.

فلا معنى إذن لأن نطلب من أم كلثوم عليها السلام نشاطاً يضارع ما نراه من الإمامين الحسنين عليهما السلام، أو حتَّى من السّيّدة زينب عليها السلام.

## المرأة الجليلة

هي أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، وهي ابنة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .

جدّتها لأبيها: فاطمة بنت أسد، وجدّتها لأمّها: خديجة بنت خُوَيلد -سلام الله عليها-.

---

(١) سورة المائدة/ الآية: ٦٧.

وإخوتها أشقّاؤها لأبيها وأمّها: الحسن والحسين وزينب عليهم السلام.

وُلِدتْ أمّ كلثوم سنة (٦) من الهجرة النَّبويّة، وتزوّجها عَونُ بن جعفر بن أبي طالب ـ ابن عمّها ـ الذي استُشهد سنة (١٧) من الهجرة يوم تُستر[١].

وقد شَهِدت أمُّ كلثوم بنت الإمام عليّ عليه السلام مأساة كربلاء، وكانت عايَشَتْها من البداية حتّى النِّهاية. وتُوفّيت -رضوان الله عليها- بعد رجوعها من الأسر بأربعة أشهر وعشرة أيّام.

• قال الأستاذ محمّد علي المدرّس: أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كانت فهيمةً كثيراً، وبليغة جليلةَ القَدْر، وخُطبتُها في مجلس عبيدالله بن زياد معلومة[٢].

• وعرّف بها الشيخ عبدالله المامقانيّ فقال: "أُمّ كلثوم" بنت أمير المؤمنين عليه السلام، هذه كُنيْةٌ لزينب الصغرى. وقد كانت مع أخيها الحسين عليه السلام بكربلاء، وكانت مع الإمام السجّاد عليه السلام في الشام، ثمّ إلى المدينة. وهي جليلة القدر، فهيمةٌ بليغة، وخُطبتها في مجلس ابن زياد معروفة، وفي الكتب مسطورة، وإنّي أعتبرها مِن الثّقات[٣].

• وكتب عمر رضا كحّالة: أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام، من فواضل نساء عصرها، وُلِدتْ قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله[٤].

## مِحَن.. ومواقف

بدأت - بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله- تتشكّل الخطوط والأحزاب والحلقات والاتّجاهات، فتوالت الوقائع صعبةً وغريبة، فكانت نتيجة ذلك أن انقسمت الأمّة وحدثت المعارك، ومنها (معركة الجَمَل)، وإليها أخرج طلحةُ والزبيرُ عائشةَ من بيتها إلى البصرة.. يقول طه حسين: وقد رأى طلحةُ والزبير أثرَ عائشة وأحاديثها في الناس، فرَغِبا إليها في أن تصحبهم إلى البصرة، فقالت: أتأمُرانِني بالقتال؟ قالا: لا، ولكن تَعِظين الناس وتُحرّضيهم على الطلب بدم عثمان. فقَبِلت في غير تردّد، وأقنعت حفصةَ بالسير معها، ولكنّ أخاها عبدَالله بن عمر ردّها.. فأقامت[٥].

وفي طريقها إلى البصرة ـ وقد تَوهَّمتْ عائشةُ أنّ النَّصر سيكون حليفَها ـ كتَبتْ إلى حفصة لتَسُرّها، فوقع الكتاب

---

(١) الاستيعاب لابن عبدالبرّ ٥:٦١٥ ؛ الطبقات الكبرى لابن سعد/ ج ٨:٤٦٤.

(٢) ريحانة الأدب/ ج ٦:٢٣٤.

(٣) تنقيح المقال/ ج ٣:٧٣.

(٤) أعلام النساء/ ١:٢٥٥

(٥) الفتنة الكبرى لطه حسين/ ج ٢:٣٢.

موقعه من حفصة، حتّى أخذتْ تجمع الجموع في بيتها مُتغنّيةً بالنصر الموهوم.. هنا بلغ أمّ كلثوم ذلك، فجاءتها تُقرّعها وتُوبّخها!

قال ابن أبي الحديد: لمّا نزل عليٌّ ﷺ في ذي قار، كتَبتْ عائشة إلى حفصة بنت عمر: أمّا بعد، فإنّي أُخبرُكِ أنّ عليّاً قد نزل ذا قار وأقام بها مرعوباً خائفاً؛ لِما بلَغَه مِن عُدّتنا وجماعتنا، فهو بمنزلة الأشقر.. إنْ تقدّم عُقِر، وإن تأخّر نُحِر!

فَدَعت حفصةُ جواريَ لها يتَغنّينَ ويَضربن بالدفوف، فأمَرتْهُنّ أن يَقُلْنَ في غنائهنّ: ما الخبر، ما الخبر ؟! عليٌّ في السفر، كالفرسِ الأشقر، إن تقدّم عُقِر، وإن تأخّر نُحِر!

وجَعَلت بناتُ الطُّلَقاء يَدخُلن على حفصة ويجتمعنَ لسماع ذلك، فبلغ أمَّ كلثوم بنت عليٍّ ﷺ ذلك فلبست جلابيبها ودخلت عليهنّ في نسوةٍ متنكّرات، ثمّ أسفَرَتْ عن وجهها.. فلما عَرَفَتْها حفصةُ خَجِلت واستَرجَعت. فقالت أمُّ كلثوم: لئن تَظاهَرتُما عليه منذ اليوم، لقد تَظاهَرتما على أخيه مِن قبلُ فأنزل الله فيكما ما أنزل![1].

فقالت حفصة: كفى رَحِمَكِ الله! وأمَرَتْ بكتابِ عائشة فمُزِّق، واستغفرتِ الله.

قال أبو مِخْنَف: روى هذا جَريرُ بن يزيد عن الحَكَم، ورواه الحسنُ بن دينار عن الحسن البصريّ، وذكر الواقديُّ مِثْل ذلك، وذكر المدائنيّ مِثلَه وقال: فقال سهلُ بن حُنَيف في ذلك هذه الأشعار:

**عَذَرْنا الرجالَ بحربِ الرجال ... فما للنساءِ وما للسُّبابْ ؟!**
**أمَا حَسْبُنا ما أتَينا بهِ ... لكِ الخيرُ في هَتكِ هذا الحجابْ!**
**ومُخرِجُها اليومَ مِن بيتِها ... يُعرّفُها الحَوْبَ نَبْحُ الكِلابْ**
**إلى أن أتاها كتابٌ لها ... مَشُومٌ.. فياقُبحَ ذاك الكتابْ![2].**

• ويُغتال أمير المؤمنين -عليه السّلام- في محرابه وهو متوجّهٌ بكُلّه إلى الله -تبارك وتعالى-، فتُفجَع بناته ومِن بينهنّ أمّ كلثوم.. يقول حبيب بن عمرو: يا أمير المؤمنين، ما جُرحُك هذا بشيء، وما بك بأس! فقال لي: يا حبيب، أنا والله مُفارِقُكمُ الساعة. قال حبيب: فبكيتُ عند ذلك، وبكَتْ أمُّ كلثوم ـ وكانت قاعدةً عنده ( خلف حجاب ) ـ فقال لها أبوها: ما يُبكيكِ يا بُنيّة ؟! قالت: ذكرتَ يا أبه أنّك تُفارقُنا الساعةَ فبكيت. فقال لها: يا بُنيّة لا تبكينّ، فوَاللهِ لو تَرينَ ما يرى أبوكِ ما بكيتِ..[3].

---

(١) تشير أم كلثوم -عليها السلام- إلى قوله تعالى: « وإنْ تَظاهَرا عليَهِ فإنّ الله هُوَ مَولاهُ وجِبريلُ وصالحُ المؤمنين والملائكةُ بعدَ ذلك ظَهِير » سورة التحريم:٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤:١٤.

(٣) أمالي الصدوق ١٩٢؛ بحار الأنوار للشيخ المجلسّي ٤٢:٢٢٣ .

• ويمضي الركب الحسينيّ إلى كربلاء.. وأمّ كلثوم فيه لا تفارق أخاها أبا عبدالله سيّدَ شباب أهل الجنّة ﷺ، فهي تاليةُ أختِها العقيلة زينب -سلام الله عليها- سِنّاً وفضلاً، وشريكتها في تحمّل أعباء النَّهضة الحسينيّة قبل واقعة الطَّف وخلالها وبعدها..

• روى السيّد ابن طاووس وَداعَ الإمام الحسين ﷺ لعياله يوم عاشوراء، فذكر: وجَعَلَتْ أمُّ كلثوم تنادي: وا أحمداه، واعليّاه، وا أُمّاه، وا أخاه، وا حُسَيناه، واضَيعتَنا بَعدَك يا أبا عبدالله!

فعزّاها الحسين ﷺ وقال لها: يا أُختاه، تَعَزَّي بعزاء الله؛ فإنّ سكّان السماوات يَفْنُون، وأهل الأرض كلّهم يموتون، وجميع البريّة يهلكون. ثمّ قال: يا أُختاه يا أمَّ كلثوم، وأنتِ يا زينب، وأنتِ يا فاطمة، وأنتِ يا رباب.. انظُرْنَ إذا أنا قُتِلتُ فلا تَشقُقْنَ عليّ جيباً، ولا تَخْمِشْنَ عليّ وجهاً، ولا تَقُلنَ هُجْراً[١].

• ورويَ أيضاً أنّ الإمام الحسين ﷺ لدى وداعه للعائلة قال لأمّ كلثوم: أُوصيكِ يا أُخيّة بنفسي خيراً، وإنّي بارزٌ إلى هؤلاء[٢].

• وحين عزم الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين ﷺ على الجهاد يوم عاشوراء وهو في مرضه، أخذ بيده عَصَاً يتوكّأ عليها، وسيفاً يجرّه في الأرض، فخرج من الخيام وخرجت أمُّ كلثوم خلفَه تنادي: يا بُنيّ ارجِعْ.. وهو يقول لها: يا عَمّتاه ذَرِيني أُقاتِلْ بين يدَي ابنِ رسول الله. فنادى الإمامُ الحسين ﷺ: يا أمَّ كلثوم، خُذِيه لئلّا تبقى الأرض خاليةً مِن نسلِ آلِ محمّد ﷺ[٣].

• ويكتب الخوارزميّ: وبعد مصرع الحسين ﷺ، أقبل فَرَسُه إلى الخيام، ووَضَعَت أمُّ كلثوم يدها على أُمّ رأسها ونادت: وامحمّداه، واجَدّاه، .. وا أبتاه، وا عليّاه، وا جعفراه، وا حمزتاه، وا حَسَناه! هذا حسينٌ بالعَراء، صريعُ كربلاء، مَحزوزُ الرأسِ مِن القَفا، مسلوبُ العمامةِ والرِّداء. ثمّ غُشيَ عليها[٤].

• وبعد أن كانت أُمُّ كلثوم عزيزةَ القوم في عهد أبيها في الكوفة، تَدخُلها أسيرةَ الأدعياء ليس معها حَمِيّ أو وليّ، بل معها رؤوس إخوتها وأبناء إخوتها وأبناء عُمومتها وأنصار أخيها الأوفياء، مرفوعةً على القنا، وهي وأسرتها وبنات عبدالمطّلب سبايا أسيرات!

---

(١) الملهوف في قتلى الطفوف/ ص ٣٤.

(٢) نَفَس المهموم للشيخ عبّاس القمّي/ ص ١٨٤.

(٣) الخصائص الحسينيّة للشيخ جعفر التستريّ/ ص ١٨٧.

(٤) مقتل الحسين -عليه السّلام- للخوارزميّ/ ج ٢:٣٧.

تدخل أمّ كلثوم.. وقد خرج أهلُ الكوفة للتفرّج، والرؤوس .. على الرّماح، والناس ينظرون إلى السبايا بعد أن خَذَلوا إمامَهم وكانوا قد كتبوا له أن أقدِمْ، فليس علينا إمام!

ويشتدّ الوجد بأمّ كلثوم، ويُمضّ بها المُصابُ وهي تشاهد تلك المناظر المؤلمة، وتلتفت فترى أهلَ الكوفة يتصدّقون على الأطفال الأسرى وهم على المَحامِل، فتَصيح بهم: يا أهلَ الكوفةِ، إنّ الصّدقة علينا حرام. أجل، فهمُ أهلُ بيت النبيّ ﷺ.. ثمّ تنفجر بخطبتها ..، رافعةً صوتها بالبكاء:

يا أهل الكوفة، سَوْأةً لكم! ما لكم خَذَلتُم حُسَيناً وقَتَلتموه، وانتَهَبتم أموالَه وورثتموه، وسَبَيتم نساءه ونكبتموه ؟! فتَبّاً لكم وسُحقاً!

ويلكم! أتدرون أيَّ دَواهٍ دهَتْكُم، وأيَّ وزرٍ على ظهوركم حَمَلتُم، وأيَّ دماءٍ سَفكتموها، وأيّ كريمةٍ أصَبتموها، وأيّ صبيّةٍ سَلَبتموها، وأيّ أموالٍ انتَهَبتُموها ؟ قَتَلتُم خيرَ رجالاتٍ بعد النبيّ ﷺ، ونُزِعتِ الرحمةُ مِن قلوبكم. ألا إنّ حزبَ الله همُ الفائزون، وحزبَ الشيطان هم الخاسرون.

ثمّ قالت:

**قَتَلتُم أخي ظُلماً، فَوَيلٌ لأُمِّكُم ... ستُجزَون ناراً حَرُّها يَتوقّدُ**

**سَفَكتُم دماءً حَرّمَ اللهُ سَفْكَها ... وحَرّمَها القرآنُ ثمّ محمّدُ**

**ألا فابشِروا بالنارِ، إنّكمُ غداً ... لفي سَقَرٍ حقّاً يَقيناً تُخلَّدوا..**

قال الرّاوي: فضَجَّ النَّاسُ بالبكاء والنَّوح، ونَشَرت النّساءُ شُعورَهُنّ [1]، ووضَعْن الترابَ على رؤوسهنَّ، وخَمَشْن وجوهَهنّ، وضَرَبنَ خدودَهنّ، ودَعَونَ بالوَيل والثّبور، وبكى الرجالُ ونَتَفوا لِحاهُم، فلم يُرَ باكيةٌ وباكٍ أكثر من ذلك اليوم[2].

• وتعود أمّ كلثوم ـ بعد تلك المصائب العظمى، وذلك السَّفر المُضْني، وتَجدّدِ الأحزان عند المرور بكربلاء على قبور الأحبّة الأعزّة ـ تعود أمّ كلثوم إلى مدينة جدّها المصطفى ﷺ وهي حاملةٌ أخباراً حزينةً مؤسفة، وذكرياتٍ

(١) أي: نساء أهل الكوفة.

(٢) الملهوف في قتلى الطفوف/ ص ٦٦.

مريرة وآلاماً كبرى، فإذا لاحت لها معالم المدينة وقفت تخاطبها:

مـــديـنـــةَ جَـــدِّنـــا لا تَـقـبـلـيـنـا ... فـبـالحـســـراتِ والأحـــــزانِ جِـيـنـا

ألا فـــاخـبِـــرْ رســـــولَ اللهِ عـنّـا ... بـأنّـــا قـــد فُـجِـعْـنـــا فـــي أخـيـنـا

وأنّ رجـالَـنـا فـــي الـطـفِّ صرعـى ... بـلا رُؤُسٍ وقـــد ذُبَـحـــوا البنينا

وأخـبِـــرْ جَـــدَّنـــا أنّـــا أُسِـــرْنـــا ... وبـعـد الأســـــرِ ـ يـا جَـــدُّ ـ سُبِـيـنـا

ورهـطُـك يـا رســـولَ اللهِ أضْـحَـوا ... عَـــرايـــا بـــالـطـفـــوفِ مُسَلّبينا

وقـــد ذُبَـحـــوا الحســـينَ ولَمْ يُـراعُـوا ... جـنـابَـكَ ـ يـــا رســـــولَ اللهِ ـ فينا

فـلـو نَـظَـرتْ عـيـــونُـكَ لـلأُسـارى ... عـلـــى قَـتـبِ الـجِـمـــالِ مُحمّلينا

أفـاطـمُ لـو نَـظَـرتِ إلـــى السَّبـايـا ... بـنـــاتـكِ فـــي الـبـــلادِ مُشـتَّتينا

أفـاطـمُ لـو نَـظَـرتِ إلـــى الحَـيـــارى ... ولـــو أبـــصَرتِ زيـــنَ الـعـابـديـنـا.[1]

جعلَ اللهُ هذه المرأة المكرّمة، والسّيّدة الصَّالحة.. نبراساً لنساء الأمّة في: الإيمان والتّقوى، والعفاف، والغيرة على الدِّين، والثَّبات على المبادئ المقدَّسة والقيم السَّامية، وفي الصَّبر والتَّحمّل والأخلاق الفاضلة.

فسلامٌ على أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليهما السلام، سليلة البيت النَّبويّ الزّكيّ، ومشارِكةِ أسرتها في ملحمة كربلاء العظيمة.

(١) المنتخب لفخر الدين الطريحيّ/ ص ٤٤٩ ـ ٥٠١ .

السيدة
أم كلثوم

اللهم صل على محمد وآل محمد

# دُعاءُ الفَرَج

اللّٰهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ بْنِ الحَسَنْ

صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائِهِ

فِي هٰذِهِ السّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ

وَلِيّاً وَحافِظاً وَقائِداً وَناصِراً وَدَليلاً وَعَيْناً

حَتّىٰ تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فِيها طَوِيلاً

بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينْ